المقتطف

الجزء العاشر من المجلد الحادي والثلاثين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٦ — الموافق ١٢ رجب سنة ١٣٢٤

قبل الولادة وبعد الموت

لما انشأ اليسوعيون مجلَّة المشرق في بيروت منذ تسع سنوات بعثوا الينا بعدد منها فتصفحناهُ واستحسناهُ وقرَّظناهُ ثم لم نرَ من هذه المجلَّة بعد ذلك الَّا عددين رأيناهما اتفاقًا منذ بضع سنوات · وقد اتانا احد الآباء اليسوعيين قبيل كتابة هذه السطور باعداد هذه السنة طالبًا منا ان نبادل المشرق بالمقتطف فاجبناهُ الى طلبهِ شاكرين · وفتحنا العدد الاول من اعداد المشرق الصادر في غرة يناير هذه السنة فوجدناهُ مصدَّرًا بردّ على المقتطف او على التمهيد الذي مهدناهُ لما كتبهُ الكولونل ده روشا عن الفتاة التي كانت تنام النوم المغنطيسي وتدَّعي انها تعود الى ما كانت عليهِ قبل ولادتها الاخيرة ممَّا لم ينسهُ قرَّاءُ المقتطف فلم نقرأ صفحتين من الرد حتى وقفنا مبهوتين لا لاننا نعتقد ان مرادنا خفي على حضرة المعترض بل لانهُ عسر علينا ان نكتشف الحالة العقلية التي كانت متسلطة عليهِ حينما كتب ما كتب · فقد قلنا في ذلك التمهيد

” اين كانت نفوسنا قبلما ولدنا والى اين تذهب بعدما نموت · اوْ ليس لنا نفوس وكل ما فينا اجسام تتولَّد وتنمو ثم تموت وتنحلُّ وترجع عناصرها الى الارض التي أُخذت منها · هذه مسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة وما من احد بلغ الخمسين او الستين الَّا وقف واستوقف وقال الى اين نحن مسوقون اين كنا والى اين نمضي وما معنى هذا التعب وهذا الجهاد

” ان الاديان المختلفة تحلُّ هذا السؤَال على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حدسًا وتخمينًا او علمًا عاليًا غير مبني على الحس والمشاهدة “

والمراد ” بالاديان المختلفة “ اديان البشر كلهم اديان اهالي الصين واليابان والهند وجزائر البحر واهالي افريقية وسكان اميركا الاصليين واليهود والنصارى والمسلمين · فهذه الاديان

كلها تحلّ ما سميناهُ بمسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة على اساليب مختلفة بعضها حدس وتخمين وبعضها علم عالٍ غير مبني على الحس والمشاهدة بل على الالهام الالهي . ولكن لم يتَّصل العلم الى حل هذه المسألة مع انهُ اتَّصل الى حل كثير من الغوامض . والمراد بالعلم في ابحاث المقتطف العلم الطبيعي المبني على التجربة والامتحان والاستقراء وهذا هو المعنى المعروف بهِ الآن عند الاطلاق تمييزًا لهُ عن علم ما وراء الطبيعة

وفروع العلم الطبيعي كثيرة كالفلسفة الطبيعية والكيمياء والفسيولوجيا والجيولوجيا وما اشبه وهي مبنية على الحس والمشاهدة والاستقراء والامتحان فقد عُلم بها مثلاً ان الصوت يحدث من ارتجاف الاجسام والصور ترى في المرآة بانعكاس النور والكهربائية تتولَّد في الراتينج بالاحتكاك والسائلات تجمد بالبرد والاجسام كلها مؤلفة من جواهر متناهية في الصغر الى غير ذلك مما تراهُ مدونًا في كتب الفلسفة الطبيعية

وعُلم ان ملح الطعام مركب من الكلور والصوديوم . والزاج من الحامض الكبريتيك والحديد . والماء من الاكسجين والهيدروجين . وان الحامض يفعل بالنشاء فيحولهُ الى سكر وهلمَّ مما تراهُ مفصلاً في كتب الكيمياء

وعُلم ان اللقاح يدخل البيضة فتتنبه وتصير تغتذي وتنمو . وان الطعام يهضم في القناة الهضمية وتمتص خلاصتهُ وتتحوَّل من صورة الى اخرى الى ان تصير دمًا يغذي الجسم ويولد فيهِ الحرارة . وان اكسجين الهواء يصل الى الدم بواسطة التنفس ويطهرهُ . وان في الدماغ مراكز عصبية متسلطة على حركات اعضاء الجسم . ونحو ذلك مما يرى في كتب الفسيولوجيا

وعلم ان في قشرة الارض صخورًا اصلها من مقذوفات البراكين وصخورًا اخرى اصلها من رواسب المواد التي كانت ذائبة في المياه . وان المتحجرات النباتية والحيوانية اصلها نباتات وحيوانات انطمرت وانحلَّت اجزاؤها الآلية وقام مقامها دقائق غير آلية . وان جبال الارض تولدت بفعل الحرارة الداخلية والضغط الجانبي وان البحر كان يغطي البر بل يغطي الجبال في اماكن كثيرة فشخصت الارض وارتفعت عن مساواة البحر وبقيت اثارهُ فيها الى غير ذلك مما تراهُ مدونًا في كتب الجيولوجيا

فهذه العلوم وامثالها مبنية على المشاهدة والاستقراء والامتحان فيعلم بها ما يقع تحت الحس ويفرض فيها احيانًا ما لا بد من فرضهِ لتتم سلسلة التعليل كفرض الاثير لنقل تموجات النور والكهربائية لكنهُ يبقى فرضًا لا حقيقة مقررة حتى اذا كشفت الحقيقة زال الفرض. ونريد بالحقيقة المقررة ما اتفق الناس على حسبانهِ حقيقة مقررة كوجود المنظورات والملموسات

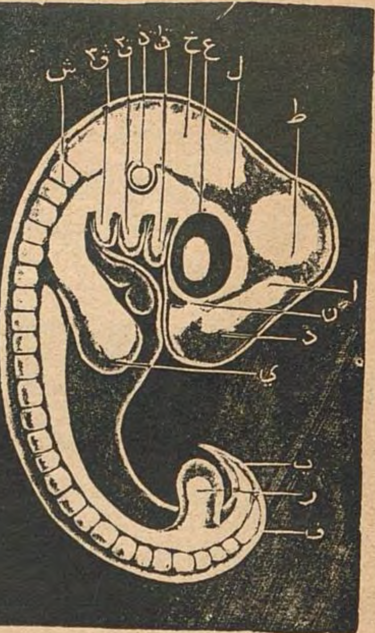
ل
ع
خ
ق١
د
ق٢
ق٣
ش
ط
ا
ن
د
ي
ب
ر
ف

جنين الكلب في الاسبوع الرابع

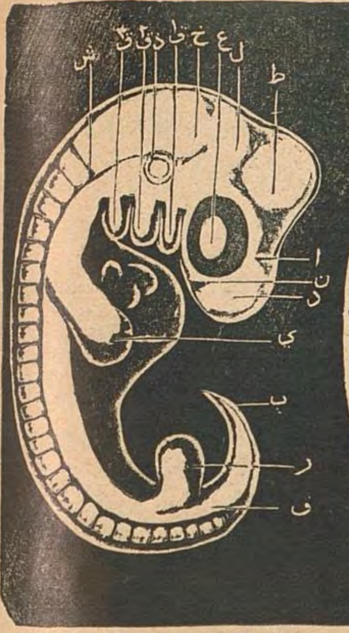
ل
ع
خ
ق١
د
ق٢
ق٣
ش
ط
ا
ن
د
ي
ب
ر
ف

جنين الانسان في الاسبوع الرابع

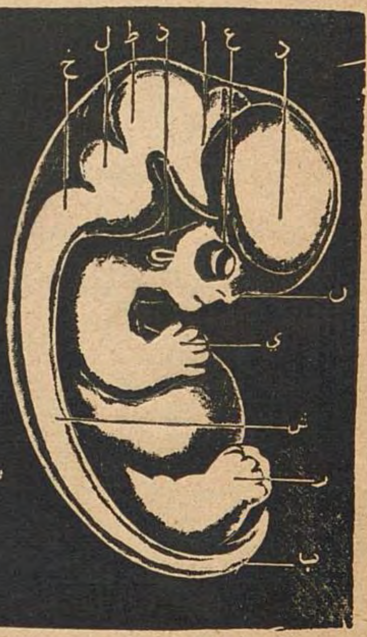
خ
ل
ط
د
ا
ع
د
ن
ي
ش
ر
ب

جنين الكلب في الاسبوع السادس

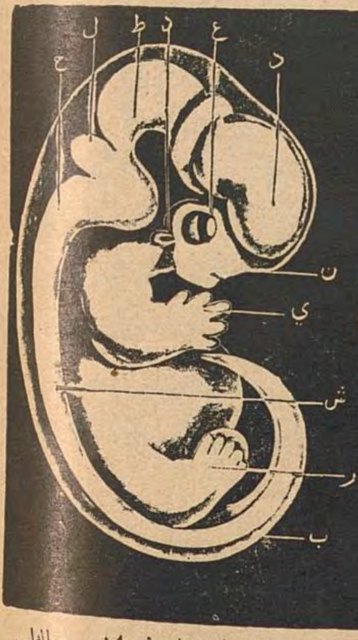
ح
ل
ط
د
ع
د
ن
ي
ش
ر
ب

جنين الانسان في الاسبوع الثامن

امام الصفحة ٧٩٥ من مقتطف اكتوبر ١٩٠٦

والعلماء المشتغلون بهذه العلوم قد يشتغلون ايضًا بالعلوم الفلسفية او الدينية ويعتقدون ان ارواح الابرار تدخل في اجسام طيور خضر بعد خروجها من اجسادهم او يعتقدون انها تمضي الى جنات فيها من كل فاكهة زوجان او الى مدينة من الذهب النقي سورها من يشب واساساتها من الحجارة الكريمة . لكن اعتقادهم هذا لا يكون مبنيًّا على العلم الطبيعي اي على الفلسفة الطبيعية والكيمياء والفسيولوجيا والجيولوجيا والبيولوجيا والنبات والحيوان او نحوها من العلوم الطبيعية المبنية على الحس والاستقراء والامتحان . بل على اعتقاد ديني او الهام الهي او شعور باطني مهما كان نوعهُ

ولكن ألا يمكننا بالعلم الطبيعي علم الحس والاستقراء والامتحان ان نعرف اين كانت نفس الانسان قبلما دخلت جسدهُ والى اين تذهب بعد ما تفارق الجسد

يتزوَّج زيد بهند وبعد تسعة اشهر تلد لهُ طفلاً ينمو ويترعرع ويصير رجلاً عاقلاً مفتكرًا مدبرًا . وقد بحث علماء الطبيعة عن كيفيَّة تولدهِ ونموهِ فوجدوا انهُ يتولد من جرثومتين صغيرتين جدًّا من ابيهِ وامهِ تتصلان فتصيران جسمًا واحدًا يمتص الغذاء ويمثلهُ وينمو بهِ وتتنوع اجزاؤُهُ وتتولَّد منها اعضاء مختلفة من لحم وعظم وعصب ودماغ ويمرُّ على اطوار مختلفة فيكون في اول امرهِ مماثلاً لجنين الطيور ثم لجنين الكلاب كما ترى في الاشكال المرسومة هنا ثم يرتقي عنها وتظهر فيهِ مميزات طفل الانسان الى ان يولد في الشهر التاسع او حواليهِ وينمو بعد ولادتهِ ويأتي مشابهًا لوالديهِ واسلافهما في امور كثيرة جسدية وعقلية في ملامحهِ ولونهِ واطوارهِ العقلية والادبية

كل هذه الامور بحث عنها علماء الاجنَّة وعلماء الوراثة وعلماء الفسيولوجيا وعلماء السيكولوجيا الحديثة فعرفوا احوالها ونواميسها اي اسبابها ومسبباتها والقوانين التي تتمشَّى عليها ولكن في اي يوم تحلُّ النفس في هذا الجسد واين يكون مقرها منهُ واين كانت قبلما حلَّت فيهِ وما هي حقيقتها وهل تنمو بنموهِ او تبقى على حالة واحدة من حين كان نطفة او جنينًا او طفلاً الى ان يبلغ اشدهُ الى ان يكهل وتتكامل قواهُ العقلية الى ان يشيخ ويضعف الى ان يموت . واين تمضي بعد ان يموت واين كانت نفوس الالف والخمس مئة مليون من الناس الموجودين الآن على وجه البسيطة والذين لم يوجد انسان واحد منهم منذ مئة وعشرين او مئة وثلاثين سنة

هذه المسائل كلها هل يمكن حلها بالعلوم الطبيعية بالكيمياء والفسيولوجيا والجيولوجيا وما اشبه او هل يمكن حلها بشيء مما يقع تحت الحس والمشاهدة اي هل يمكن ان نشعر بنفس الولد قبل ان يتصوَّر في بطن امهِ ونتأَكد اننا غير مخدوعين في شعورنا هذا بل هو حقيقة

بالنسبة الينا مثل الشعور بوجود الكتاب والقلم والقرطاس · ونشعر بها ايضاً بعد خروجها من جسم الانسان ونتأكد وجودها كما نتأكد وجود الحيوان والنبات والجماد والنور والصوت والكهربائية

ولماذا نبحث عن غيرنا ولا نبحث عن انفسنا · لنفرض ان قارئ هذه السطور كهل عمرهُ اربعون سنة فاين كان منذ خمس واربعين سنة . اين كانت نفسهُ العاقلة هل يقدر ان يتذكر وجودها حينئذٍ ويثبت ذلك بدليل حسي يقنع غيرهُ وان كان يجهل ذلك فهل يمكن ان يعلمهُ كما كان الناس يجهلون اموراً كثيرة ثم علموها الآن اي هل يستطيع الانسان ان يتوصل يوماً ما الى معرفة الحالة التي كان فيها قبلما ابتدأ تكوُّنهُ في بطن امهِ كما ادَّعت الفتاة التي ورد خبرها في المقالة المشار اليها آنفاً · فان الناس كانوا يجهلون مثلاً انواع العناصر الداخلة في تركيب الشمس والكواكب وقال بعض علمائهم ان الوصول الى معرفة ذلك ضرب من المحال ولكن لم تمضِ على قولهِ مدة طويلة حتى ثبت ان النور يدل على نوع العناصر التي يصدر منها او يمر فيها فتمكَّن العلماء بواسطة هذا الاكتشاف البديع من معرفة عناصر الشمس والنجوم كما يعرفون العناصر التي يتركَّب منها طعامهم وشرابهم · افلا يمكن ان يكشف سبيل علمي لمعرفة ما كنا عليهِ قبلما ولدنا وكذلك ألا يمكن ان يوجد سبيل علمي طبيعي لمعرفة ما يمكن ان نصير اليهِ بعد ما نموت لا من حيث اجسادنا فاننا نعلم انها تنحلُّ ويأكلها الدود ويغتذي بها النبات بل من حيث نفوسنا العاقلة

هنا ينقسم العلماء الى فئتين فئة تقول ان الوصول الى معرفة ما كنا عليهِ قبل الولادة وما نصير اليهِ بعد الموت غير ممكنة بالوسائل العلمية الطبيعية وفئة تقول ان ذلك ممكن وتدَّعي انها وجدت ادلة تؤيد دعواها

وبديهي ان قول بعض العلماء انهُ لا توجد ادلة طبيعية يثبت منها اين كانت نفس الانسان قبلما تصوَّر في بطن امهِ والى اين تذهب بعد ما يموت لا ينفي وجود النفس بل انما ينفي وجود الادلَّة الطبيعية المشار اليها

ولا يخفى انهُ اذا قال علماء اللاهوت او علماء الكلام ان نفوس الابرار تقيم حول العرش والقيثارات في يدها تسبح الله وتمجدهُ او تجلس على سرر من الاستبرق لا يثبتون قولهم هذا بالادلة الطبيعية بل بالنصوص الكتابية . ويرى كثيرون من علماء الاديان ان المعتقدات الدينية يجب ان لا تعتمد على علم طبيعي ولا على حكمة الناس بل على الوحي والايمان

مفاخر البطالسة

بطليموس الرابع الملقَّب فيلوباتر

هو ابن بطليموس الثالث خلَف اباهُ على عرش مصر سنة ٢٢٢ قبل المسيح واقترن باختهِ ارسنوي فولدت لهُ ابنهُ بطليموس الخامس الملقَّب ابيفانس

في تاريخ هذا الملك امران من احرى الامور بالذكر اولهما ان ما يُدوَّن في التواريخ قد يكون كذبًا وتضليلاً لان اغراض الكتَّاب تحول دون تقرير الحقائق فيقررون الاباطيل . وثانيهما ان من يمتلك بلادًا وينظم جندهُ من اهاليها يجب ان يكون على تمام الحذر لئلا يخرج هذا الجند عليهِ فيصدق فيهِ قول القائل

اعلمهُ الرماية كل يوم   فلما اشتدَّ ساعدهُ رماني

مَن يقرأُ تواريخ البطالسة التي كتبت حتى عشرين سنة مضت يحسب هذا الملك خليعًا منغمسًا في الملاذ والمعاصي لا يهتم بامور البلاد ولا براحة العباد ولكنهُ يرى من خلال ذلك امرًا يتعذر على المؤرخ اخفاؤُهُ مهما كان جائرًا في حكمهِ وهو ان هذا الملك حارب انطيوخس ملك سورية المعروف بالكبير وقهرهُ وبنى الهياكل وعضد العلوم والفنون فيستغرب اجتماع النقيضين فيهِ الانغماس في الملاهي والمعاصي وتنظيم الجيوش وتعضيد العلوم والفنون ولكنهُ اذا طالع اقوال الباحثين المحققين وجد ان بطليموس هذا شدد الوطأة على بعض سكان بلادهِ فسوَّدوا صحيفة تاريخهِ وتركوا ذكرهُ عبرةً في الملا

ويقال انهُ لما قهر انطيوخس عند رفح كما سيجيءُ اوغل في بلاد الشام الى ان وصل القدس الشريف فاعجب ببناء هيكل اليهود ودخلهُ وحاول دخول قدس الاقداس فقال لهُ رئيس الكهنة ان ذلك لا يجوز لاحد الَّا لهُ هو مرةً واحدة في السنة . فقال بطليموس ان هذا المنع يصدق عليكم ولكنهُ لا يصدق عليَّ واصرَّ على الدخول فاصابتهُ نوبة صرع وسقط لساعتهِ فحملهُ رجالهُ واخرجوهُ من الهيكل . فحقد على اليهود بعد عودتهِ الى مصر وامر ان يوسَّموا على اذرعهم ونكَّل بالذين لم يطيعوا امرهُ تنكيلاً ورمى بعضهم للافيال

قال كاتب سفر المقابيين الثالث ان بطليموس استدعى اليهِ هرمون حارس افيالهِ وامرهُ ان يطعمها طيوبًا فقط ويسقيها كثيرًا من الخمر حتى تسكر ويشتد قرَمها وتقوى على الفتك بالناس وجمع اخصَّاءهُ وقواد جندهِ الذين يكرهون اليهود واولم لهم وليمة فاخرة . ثم جيءَ

بالافيال الى امامهم وأُتي باليهود مقيدين وطرحوا امامها وهم يبكون ويضرعون الى الله فابت الأفيال ان تنالهم بمكروه وارتدت على رجال بطليموس وفتكت بهم

هذه خلاصة ما رواهُ كاتب ذلك السفر . والمرجح ان بطليموس غاظ اليهود نزلاء القطر المصري اما بابتزاز الاموال منهم او بشيءٍ آخر جاريًا على خلاف الخطَّة التي جرى عليها اسلافهُ من الاعتناء بامةٍ لها المنزلة العليا في تدبير الاموال وتوفير الثروة فحقد عليهِ بعض كتَّابهم وبالغ في ذكر سيئاتهِ او نسب اليهِ ما هو بريءٌ منهُ

هذا من جهة الامر الاول . والامر الثاني هو انهُ لما قام انطيوخس على بطليموس وحاول استخلاص بلاد الشام من يدهِ جنَّد بطليموس عشرين الفًا من المصريين وعقد لواءهم لاثنين من نخبة رجالهِ وضمهم الى جيشهِ وحارب بهم انطيوخس ففاز عليهِ . فلما عاد هؤُلاء الجنود الى بلادهم بثوا روح العصيان في نفوس الاهلين ومن ثم تزعزعت سلطة البطالسة

ولنعد الى تاريخهِ فنقول انهُ اتُّهم بقتل اخيهِ مغاس مخافة ان يخرج عليهِ ومن المحتمل انهُ قتلهُ خوفًا منهُ جاريًا في خطة اسلافهِ ومن المحتمل ان اخاهُ خرج عليهِ او حاول الخروج فقتلهُ . ويقال انهُ كان لوزيرهِ سوسبيوس سلطة تامَّة عليهِ فحملهُ على قتل اخيهِ وامهِ وخالهِ وحملهُ اخيرًا على قتل زوجتهِ . وكان كليومنس صاحب اسبرطة قد لجأَ الى الاسكندرية واقام فيها ضيفًا على البطالسة فالجأَتهُ دسائس الوزير سوسبيوس الى الانتحار

ثم ان ثيودوتس والي الشام وعد انطيوخس ان يسلمهُ القسم الشمالي من ولايتهِ انْ هو نهض لقتالهِ . قال بوليبيوس المؤرخ انهُ فعل ذلك غيظًا من بطليموس لانهُ رآهُ غير مهتم بشؤُون المملكة ولانهُ لم يعرف لهُ خدمتهُ فجهز انطيوخس جيوشهُ وسار الى سلوقية على نهر العاصي وبعث اليها باسطولهِ بحرًا وكان فيها حامية مصرية ففتحها عنوةً او خيانةً ثم تقدَّم الى الشام فاستولى على عكاء وصور من غير قتال لان ثيودوتس سلمهما اليهِ

وبلغ بطليموس ذلك فحصَّن مدخل القطر المصري عند فلوزيوم وجعل يذاكر انطيوخس في امر الصلح وتسليم الشام لهُ خداعًا منهُ حتى تمكنهُ الفرصة من تعبئة الجيوش . واستخدم القواد المحنكين لتعليم الجنود وتمرينهم وصنع كثيرًا من الاسلحة فاجتمع عندهُ ثلاثة آلاف من الحرس و ٣٣ الفًا من المسترزقة وثلاثة آلاف من الجنود الكريتية وستة آلاف من الترافيين والغاليين وثلاثة آلاف من الفرسان وجنَّد ايضًا عشرين الفًا من المصريين وعقد للقائد نيقولاوس وبعثهُ بثلاثين بارجة فدارت الدائرة عليهِ عند مضيق بورفيريون وقتل من رجالهِ الفان وأُسر منهم الفان آخران فاشتدَّت عزائم انطيوخس وقام قاصدًا القطر المصري

وادركهُ الشتاء في الطريق فشتى في عكاء وقام بطليموس للقائهِ بخمسين الف راجل وخمسة آلاف فارس و ٧٣ فيلاً مضرَّاة . وكانت جنود انطيوخس ٦٢ من المشاة وستة آلاف من الفرسان و ١٠٢ من الافيال وفي اليوم الخامس من خروج بطليموس من مصر نصب خيامهُ على خمسة اميال من مدينة رفح ووصل انطيوخس الى هناك ونزل على مقربة منهُ . ودخل ثيودوتس خيمة بطليموس خلسة ليفتك بهِ ولكن بطليموس لم يكن نائمًا في خيمتهِ بل في خيمة اخرى فقتل ثيودوتس اندرباس طبيب بطليموس وجرح اثنين من رجالهِ

ثم اصطف الجيشان للقتال وكانت افيال كل جيش قائمة على جناحيهِ امام فرسانهِ فلما ابتدأ القتال هجم انطيوخس بميمنة جيوشهِ على ميسرة بطليموس وكسرها واقتفى اثرها فابعد عن جيشهِ . وهجمت ميمنة بطليموس حينئذٍ على ميسرة جيوش انطيوخس وقهرتها لكنها لم تبعد كما ابعدت ميمنة انطيوخس بل اشتركت مع قلب الجيش وهجم الاثنان على قلب جيش انطيوخس فدارت الدائرة عليهِ واستتبَّ النصر لبطليموس ولو اندحرت ميسرة جيشهِ . وقتل من جيوش انطيوخس عشرة آلاف من المشاة وثلثمائة من الفرسان وأُسر منهم اربعة آلاف وقتل ثلاثة من افيالهِ ومات اثنان من جراحهما وقتل من جيوش بطليموس ١٥٠٠ من المشاة و ٧٠٠ من الفرسان و ١٦ من الافيال وأَسر انطيوخس بقيتها

وعاد بطليموس الى مصر بعد ان عقد شروط الصلح مع انطيوخس وبعد ان اقام ثلاثة اشهر جائلاً في فينيقية وفلسطين وبقيت بلاد الشام في حوزة مصر مدة حياتهِ ولم يحاول انطيوخس استرجاعها الاَّ بعد وفاتهِ

وعكف بطليموس بعد رجوعهِ من سورية على تعضيد المعارف وتشييد الهياكل واكرام معبودات المصريين ومعبودات اليونانيين وبنى هيكلاً لهوميروس شيخ الشعراء وبنى هيكلاً في طيبة وهو المسمَّى الآن بدير المدينة وجعلهُ لهاثور الاهة العالم السفلي . وعلى جدران غرفة من غرف هذا الهيكل صورة الدينونة المشهورة التي يُرى فيها الالهان هورس وانوبس يزنان قلب الميت في حضرة الاله اوسيرس وثوث يكتب نتيجة الوزن وفي اعلاها صورة الميت يصلي لقضاة الاموات الاثنين والاربعين كما ترى على الصفحة التالية

واتمَّ بناء القسم الداخلي من هيكل ادفو ونقش الرسوم الكثيرة على جدرانهِ

واستمرَّ على بناء هيكل ايسس في اصوان الذي شرع فيهِ ابوهُ . وبنى هيكلاً صغيرًا في جزيرة الساحل باصوان وقد ظهر حديثًا من الآثار التي وجدت هناك ان بطليموس الخامس

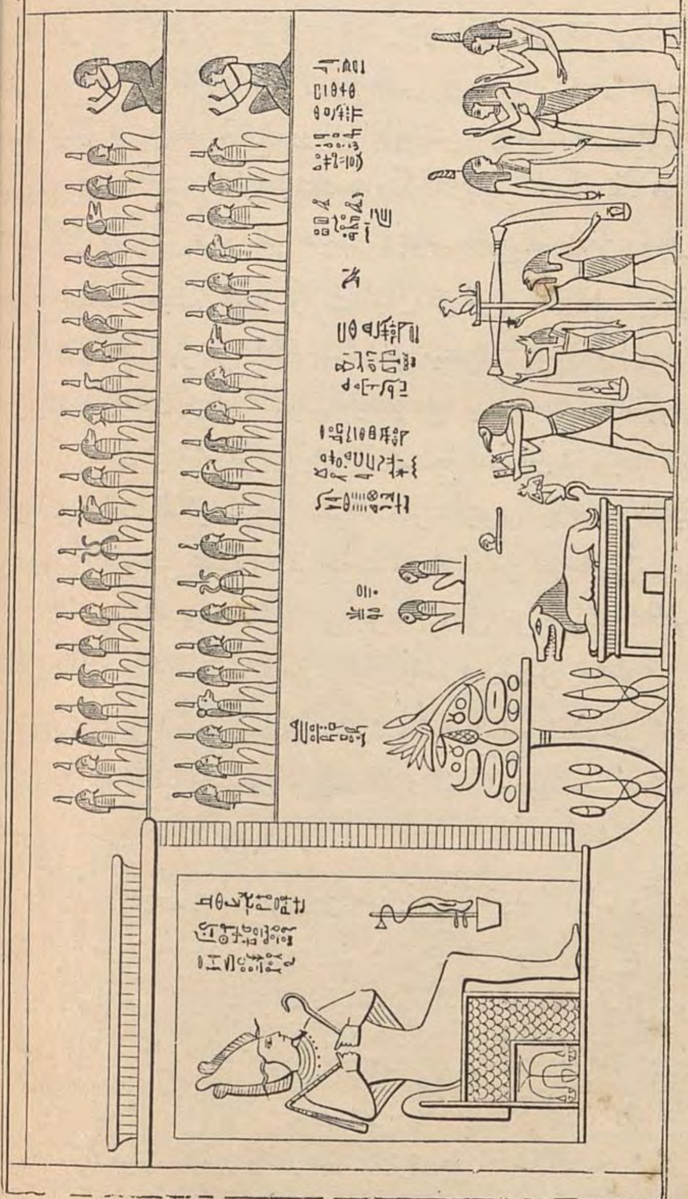

وارغامنس ملك النوبة وطيباريوس قيصر رمموا هذا الهيكل في اوقات مختلفة . ويظهر من ذلك ومن آثار اخرى ان ملوك النوبة والبطالسة كانوا على وفاق وصفاء وان بلاد النوبة كانت كثيرة العمارة وكانت عبادتها مثل عبادة مصر لان ملكها يلقب نفسهُ ملك الجنوب والشمال ابن الشمس يد آمن

ثم قتل بطليموس زوجتهُ ارسنوي وسلم مقاليد الملك لخليلتهِ اغاثوكايا واخيها اغاثوكايس ووزيرهِ سوسبيوس فضعفت شؤُون البلاد في الداخل ولكن بقيت سطوتها في الخارج على ما كانت عليهِ في عهد اسلافهِ . ثم اشرك ابنهُ معهُ في الملك وعمرهُ سنتان وثارت البلاد عليهِ في اخريات ايامهِ وتركها كذلك لابنهِ وكانت وفاتهُ سنة ٢٠٥ قبل المسيح

العاب الحيوانات وحِيلها

كان علماء الحيوان يقولون ان افعال الحيوانات تجري بموجب ما فيها من الغرائز ليس الاَّ وان الدافع لها الى هذا العمل او ذاك خُلق معها . وليس من ينكر ان في الحيوانات كلها من الانسان فنازلاً غرائز موروثة كما هو مشاهد ومشهور ولكن يخطئُ من يقول ان العجماوات محرومة من قوة الابتكار في حركاتها وسكناتها . وقد أدرك علماء الحيوان الحديثون هذا الخطاء فتجنبوهُ وخالفوا سلفاءهم في ما ذهبوا اليهِ واثبتوا ان الحيوانات داجنة كانت او برية تبتكر حيلاً مختلفة في طلب رزقها والعاباً عديدة للتسلي بها كما يفعل الاولاد

فمن العاب الاولاد التزحلق على ضفاف الانهر اذا كان منها سطوح مائلة . وكذلك تفعل الحيوانات المعروفة بكلاب الماء فانها تختار ضفة مائلة حيث التراب ناعم وتزيل كل ما عليها من العيدان والحجارة التي قد تعوقها في تزحلقها ثم تصعد الى رأس الزحلوقة ويقف احدها هناك ورأسهُ الى اسفل ويلصق صدرهُ بالتراب ويدفع الارض برجليهِ فيندفع نازلاً ويغوص بقوة الاندفاع في الماء فتحذو البقية حذوهُ وتظل تكرر ذلك حتى تكل فتبطل اللعب ولكنها تعاودهُ في اليوم التالي . ولا تنقطع عنهُ صيفاً ولا شتاء ولكنها تختار في الشتاء ضفافاً يكسوها الثلج والجليد بدلاً من التراب لتعذر اللعب عليهِ

ويروى ان معزى الالب تلعب العاباً مشابهة لما تقدم . ففي الصيف تصعد الى القنن العالية حيث الثلج دائم على مدار السنة وتختار منحدرًا صقيلاً تتزلج فيهِ . فينطرح احدها اولاً في اعلاهُ ثم يحرّك قوائمهُ كأَنهُ يسبح في الماء فينحدر الى اسفل ومتى بلغ آخر المنحدر يعود الى رأسهِ مسرعاً ليعيد الكرة . كلُّ ذلك يجري والمعزى التي معهُ تراقب عملهُ لتفعل مثلهُ ولا تزال تكرر ذلك حتى يدركها الاعياء

حكى همبلد السائح انهُ رأى في بعض اسفارهِ قرداً لعوباً بلغ من تفننهِ في اللعب انهُ كان يتربص حيث يرى ولا يُرى حتى اذا مرَّ قطيع من الخنازير استفرد خنزيراً منها ووثب على ظهرهِ وهو يبدي مزيد الانبساط مما جرى والخنزير يحاول التملُّص منهُ فلا يستطيع . وكان القرد يثبت احياناً على ظهر الخنزير كأَنهُ قطعة من جلدهِ ولا يفارقهُ حتى وهو يأْكل علفهُ

وربَّى احد العلماء حيواناً من النوع الذي يسميهِ العامة "بالنسناس" وحيواناً من النوع المعروف بكلب الماء فكانا يقضيان وقتاً طويلاً وهما يلعبان يمسك النسناس طرف ذنب كلب

الماء بيديهِ ويرقص حولهُ فيهجم هذا عليهِ فلا ينالهُ لخفة الاول وثقل الثاني . فاذا فرغا من اللعب اضطجعا جنباً لجنب

والسنجاب من اكثر الحيوانات لعباً واشهر العابهِ الوثب من شجرة الى شجرة بخفة تفوق خفة سائر الحيوانات . وكذلك جراءُ الحيوانات التي من فصيلة الهرّ كالاسد والفهد والنمر فانها لا تكاد تكلُّ من اللعب ولا تعرف لهُ وقتاً

ويقال ان لصغار افراس النهر والافيال العاباً خاصة بها على ضخامة اجسامها وثقل حركاتها. واشتهر عن الادباب الرقص وتقليد حركات غيرها منذ عهد بعيد . وعند اهل كمشتكا رقصة يسمونها رقصة الدب فيرقصون ويقلّدون جميع حركات الدب وسكناتهِ في رقصهِ ويفتخرون بانهم تعلّموا الرقص من الادباب

ومن اغرب العاب الحيوانات ما يفعلهُ نوع من الفار في كليفورنيا سمي فار التجارة. وسبب هذه التسمية ان الفارة منهُ لا تسرق شيئاً الاَّ وضعت شيئاً آخر مكانهُ . فمن حكاياتها ان فارة سطت ذات ليلة على منزل ودخلت المطبخ فرأَت قصعة مملوءَة حلوى فسرقت ما فيها ثم ملأَتها مثل ما في جراب الكردي في الحكاية بين قطعة عصاً مكسورة وقطعة حبل وقطع شريط وزجاج وما اشبه

وحكى بعضهم انهُ رأَى جحر فارة في منزل مهجور فاذا فيهِ عوارض حديد منتظمة الوضع ونحو ثلاثين شوكة وملعقة وثلاث سكاكين كبيرة وكيس عتيق وعدة من ادوات النجارة وقطع ساعة وغير ذلك من الاشياء التي لا حاجة بالفارة اليها لغرض من الاغراض وانما جمعتها للتلهو بها كما يفعل صغار الاولاد

ويشبه هذه الفارة حيوان في اميركا الجنوبية يحمل كلَّ ما يستطيع حملهُ مما يعثر عليهِ في روحاتهِ وغدواتهِ ويجعلهُ عرماً عند باب وجارهِ . وكثيراً ما يفقد الرعاة بعض ادواتهم فيفتشون عنها امام اوجرة هذا الحيوان فيجدونها

ومثل هذه بين ذوات الاربع الغراب والعقعق بين الطيور فقد اشتهر عن الاول السرقة لغير سبب حتى كان المثل العاميّ " قالوا للقاق لماذا تسرق الصابون قال الاذى عادة " . وكذلك الثاني وكانت العرب تضرب بهِ المثل في السرقة والخيانة . قال الشاعر

اذا بارك الله في طائرٍ   فلا بارك الله في العقعقِ
قصير الذنابى طويل الجناح   متى ما يجد غفلة يسرقِ
يقلّب عينيهِ في رأسهِ   كانهما قطرتا زئبقِ

قال في حياة الحيوان ” العقعق طائر معروف كثير الخيانة يسلب الاشياء النفيسة من الحلي والجواهر ويرميها موضعاً آخر “ حتى لقد قيل ان من الناس من كان يربي العقعق لسرقة الاشياء الثمينة

ذكر احد علماء الحيوان انهُ عثر ذات يوم على عشّ غراب ملئ قطع فخّار لامعة وزجاج وما اشبه من الاشياء البرّاقة والغراب واقفٌ بين جواهرهِ ينقدها ويختار جيادها وينظمها وعاد في اليوم التالي الى حيث كان العشّ فلم يرَ للجواهر اثرًا وسبب ذلك ان الغراب استشعر خوفًا من اهتداء ابن آدم الى مخبإهِ وما ذخرهُ فيهِ من الكنوز فنقلها الى حيث لا يعلم احد مكانها

ومن الطيور التي تتسلّى بالرقص طائر في اميركا الجنوبية اسمهُ روبيكولا يجتمع السرب منهُ في بقعة مستوية فيزيل ما فيها من العيدان والحجارة وينتظم عشرة او اكثر في حلقة ويقف ذكر في وسطها فينشر جناحيهِ وينفش ذنبهُ ويأْخذ يخطر خطرانًا بطيئًا في بادئ الامر ويدور على مهل ثم يسرع في خطرانهِ ودورانهِ حتى يشبه ” البلبل “ الذي يلعب به الاولاد ويظلُّ كذلك حتى يبلغ منهُ التعب مبلغهُ فيقفز الى خارج الحلقة ويحلّ آخر محلهُ ويفعل فعلهُ

ومن الالعاب ما يعمد الحيوان اليهِ لدفع مغرم اوجرّ مغنم كأَنهُ يستعمل الجدّ في معرض الهزل من ذلك ما رواهُ الدميري عن طائر اسمهُ الغوّاص حيث قال ” حكى بعضهم قال رأيت غواصاً غاص وطلع بسمكة فغلبهُ الغراب فاخذ السمكة منهُ فغاص مرة اخرى وطلع بسمكة وقربها من الغراب فاخذ الغراب السمكة واشتغل بها فوثب الغواص واخذ برجل الغراب وغاص بهِ ووقف بهِ تحت الماء حتى اغرق الغراب وخرج سالمًا “ . وقال عن طائر اسمهُ الكِكم ” وربما اصطاد العصافير وصغار الطير ممَّا يكون في الآجام والمياه وغيرها لكن لا في جميع السنة بل في فصل الربيع فاذا صاح اجتمعت عليهِ العصافير وصغار الطيور مما يكون في الآجام والمياه وغيرها فتزقهُ من اول النهار فاذا كان آخر النهار اخذ واحدًا منها فأَكلهُ فذلك فعلهُ في كل يوم الى ان ينقضي فصل الربيع فاذا انقضى انعكست عليهِ فلا تزال تجتمع عليهِ وتطردهُ وتضربهُ وهو يهرب منها ولا يسمع لهُ صوت الى فصل الربيع “

ومن هذه الالعاب ما يأْتيهِ بعض انواع القردة التماسًا للطعام فانها تصطفُّ صفوفًا منظمة كالجيش الزاحف للقتال ويمشي في طليعتها قرد مسنٌّ يصدر الاوامر اليها باصوات تشبه نباح الكلاب ويسير عن جناحيها شراذم للاستطلاع خشية طارئ مفاجئ ويعزّز الساقة حرس

يسيَر مبتعداً عنها . وفي الوسط الاناث وصغارها . ويحافظ الكلُّ اشدَّ محافظة على النظام ما عدا الاناث والصغار فانها لا تكفُّ عن الرقص واللعب واثقة انها من حماية الجنود ورعايتها في حرز حريز . فاذا بلغت حقلاً من الحقول المزروعة ذرةً انبثَّت فيهِ كرجل الجراد ما عدا الحرَّاس فانهما تلزم اماكنها للحراسة حتى اذا ملأَت بطونها الطاوية كرَّت راجعة تحمل ما تطيق حملهُ من الغنائم والاسلاب . ولكن اذا طلع عليها عدوٌّ وهي آخذة في السلب والنهب انذرها الحراس بالخطر فتأْخذ ما تستطيع من الذرة وتنقلب عائدة من حيث اتت كالبرق الخاطف وهي محافظة على النظام في ادبارها محافظتها عليها في اقبالها. اما الحرَّاس فلا تشترك في السلب والنهب بل تقتصر مهمتها على الحراسة فاذا بلغ الجيش محلهُ آمناً وزَّع عليها انصبتها من الاسلاب

والاسد وما كان من فصيلة الهرّ مثلهُ كالفهد والنمر تلعب بفرائسها كما يلعب الهرُّ بالفارة الاَّ ان الفارة ربما كانت اكثر احتمالاً لمداعبة الهرّ من فريسة الاسد لمداعبتهِ اياها لثقل وطأة الاسد في المزاح. حدَّث لڤنستون المرسل الافريقي الشهير قال " دهمني الاسد ذات يوم على غرَّة فالتفتُّ حولي واذا بي اراهُ يجمع نفسهُ في زورهِ ويدقُّ الحجار بصدرهِ تحفزًا للوثوب عليَّ ثم وثب وثبة صادقة اصاب بها كتفي فكسرهُ وأَلقاني الى الارض وادنى فمهُ من اذني وجعل يزأَر زئيرًا مخيفاً وهو يهزُّني بكفهِ كما يهزُّ الكلب الجرذ فاستولى عليَّ شبه سبات فقدت بهِ الشعور فلم أَعد احسُّ بخوف ولا بأَلم ولكني لم افقد صوابي بل بقيت أُدرك كلَّ ما يجري لي. والمرجَّح ان هذه الحال تعرو كلَّ فريسة من فرائس الحيوانات آكلة اللحوم فاذا صحَّ ذلك كان لطفاً من العناية الربانية تتدارك بهِ المخلوقات ذات الحسّ تخفيفاً لغمرات الموت" كلُّ ذلك كان يفعلهُ الاسد بلڤنستون من قبيل الملاعبة والمضاحكة " ولكنهُ ضحكٌ كالبكا "

ومن خرافات العامّة ان الضبع اذا لقيت انساناً لم تهاجمهُ بل مرَّت بهِ ماسة اياهُ فتسحرهُ فيركبها الى مغارتها وهناك تشرع في ملاعبتهِ ودغدغتهِ حتى يسمع صوت ضحكهِ وانما يضحك لما يعتريهِ من الذهول فلا يدري ما هو فيهِ . وكان العرب ينسبون الضحك الى الضبع في شعرهم ونثرهم . قال ابن أُخت تأَبط شرًّا

تضحك الضبع لقتلى هذيل   وترى الذئب لها يستهل

وكان ابن دريد يقول " انما اراد الشاعر انها تكشّر لاكل اللحوم وهذا سهو منهُ فجعل كشرها ضحكاً وقيل معناهُ انها تستبشر بالقتلى اذا اكلتهم فيهرُّ بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكاً لان الضحك انما يكون منهُ كتسمية العنب خمرًا. وتستهل الذهاب تصيح وتعوي قالهُ ابن سيده " والغالب انهم قصدوا بالضحك السرور كما تقدم اذ لا يعقل انهم ينسبون

الضحك الى الضبع وهم يصفون الانسان في كتب المنطق بالضاحك تمييزًا لهُ عن سائر الحيوان. والحق يقال ان كل مَن رأى الضبع واسنانها بادية يحسب انها تضحك حقيقة

والذئب ليس دون غيرهِ من الحيوانات في اختراع الحيل لسد نهمهِ بل ربما كان ادهى وامكر. قص بعض الصيادين الانكليز القصة الآتية قال كنت ذات يوم ارقب سربًا من الغزلان بمنظاري وهي تسرح في سهل امامي وحانت مني التفاتة الى احد جوانب السهل فرأيت ستة ذئاب مُقعية في حلقة كأَنها تعقد جلسة للمشاورة . فجلست حيث أَرى ولا أُرى رغبةً في استطلاع طلع امرها ومعرفة موضوع جلستها . فاضطجع احدها على الارض وتفرقت الخمسة الباقية في جهات مختلفة حتى احدقت بالغزلان عن بعد فصمد احدها لها يتحداها للنزال فنفرت مذعورة الى الجهة المقابلة ولكنها لم تبعد كثيرًا في فرارها حتى لقيت ذئبًا آخر في سبيلها فنفرت الى جهة آخرى لتلقى ذئبًا آخر وما زالت في كرٍّ وفرٍّ واقدام واحجام حتى غلبها الاعياء ولكن لحسن حظها كانت قد دنت من المكان الذي اختبأْت فيهِ فاخذتني الشفقة عليها فتناولت بندقيتي واطلقتها على اقرب ذئب مني فقتلتهُ فلما رأَت بقية الذئاب ما حلَّ باخيها اتعظت بهِ واستنصرت الفرار . وكانت الغزلان قد اغتنمت فرصة ذلك الارتباك والاختلاط فاطلقت سوقها للريح لا تلوي على شيء

وحكى آخر ان ذئابًا استفردت جاموسًا فخشيت لقاءهُ مواجهة علمًا بما هو عليهِ من شدة البأْس فساقتهُ امامها على مهل حتى اوصلتهُ الى شفا جرفٍ هارٍ فضيقت حلقة الحصار عليهِ ثم هبّت في وجههِ توسعهُ عضًا فنكص الى الوراء فتدهور الى اسفل وتحطم فتبعتهُ وتقاسمتهُ

اما الثعلب فقد ضرب العرب الامثال في مراوغتهِ فقالوا اروغ من ثعالة ومثلهُ اخوهُ ابن آوى فلا نطيل الكلام عليهما بل نذكر بعض ما عرف عنهما مما لم يشتهر كثيرًا منهُ ان بنات آوى تتبع الاسد عن كثب لا تحيُّنًا لفرص اغتيالهِ ولا اعجابًا بجمالهِ بل تكدّيًا تلتقم الفتات الساقطة عن مائدتهِ . فاذا اصاب صيدًا اكل منهُ بلغة وترك الباقي انفة واستكبارًا فتتناول بنات آوى فضلاتهِ بلا دعوة ولا معاودة

ومع ما الثعلب عليهِ من الروغان والمكر فان في قلبهِ من الشجاعة والصبر على المكاره ما يندر وجودهُ في اشجع الحيوان واصبرهِ . روي ان بعضهم اخذ ثعلبًا ليصبرهُ فوجدهُ بثلاث ارجل فلما فتح جوفهُ وجد الرجل الرابعة في معدتهِ وبيان ذلك ان الثعلب كان قد وقع في الفخ فاحتال للخلاص منهُ بقضم رجلهِ التي علقت بهِ فقضمها وابتلعها ولكنهُ وقع في فخّ آخر فكأَنهُ فرَّ من منيتهِ ليوافقها في بعض فرّاتهِ

منتخبات

من خواطر مركوس اوريليوس

تمهيد

هو مركوس اوريليوس انطونينوس الامبراطور والفيلسوف الروماني وُلد في رومية سنة ١٢١ م . وكان ابوهُ من كبار الرومانيين وخالهُ انطونينوس بيوس من الذين تولوا الامبراطورية فلما مات سنة ١٦١ تولاَّها مركوس اوريليوس الى زمن موتهِ سنة ١٧٩ وقد قضى اكثر مدة ملكهِ في الحروب . وأُحسنت تربيتهُ في صغرهِ وهو يشكر الآلهة في كتابهِ الاول على صلاح اجدادهِ وابويهِ واختهِ ومعلميهِ ورفقائهِ وانسبائهِ واصدقائهِ . ولما بلغ السنة الحادية عشرة من عمرهِ لبس ثوب الفلاسفة وهو ثوب بسيط خشن وجدَّ في الدرس ومال الى شظف العيش حتى اضرَّ بصحتهِ

وكان مذهبهُ في الفلسفة مذهب الرواقيين الذين تلقَّبوا بهذا الاسم من رواقٍ في اثينا كان يعلّم فيهِ الفيلسوف زينون (نحو سنة ٣٥٠ ق . م) واضع هذه الفلسفة ومن خلفهُ في تعليمها وخلاصتها من حيث الكون انهُ مؤَلف من اصلين ازليين احدهما فاعل والآخر مفعول اما الاول فهو الله الواحد ولو تعدَّدت اسماؤُهُ ولا يقال انهُ خلق المادة لانها قديمة مثلهُ بل انهُ الفاعل بها والمكوّن لها حتى صارت لها الصورة الحاضرة المعروفة . وقالوا ان المادة مؤلفة من دقائق اصلية ينتهي تركيبها بعضها مع بعض الى الكون الطبيعي الذي لا يلبث على حال واحدة بل يتغيّر دواماً ويركّب اشياء جديدة من القديمة . وقال سنيكا وهو من اكبر فلاسفتهم انهُ ليس في الكون الاَّ شيئان هما السبب والمادّة اما السبب فمنتشر في المادّة وهو المحرّك والمدبّر لها وهو عاقل حكيم يدير اعمالهُ فيها لاغراض مقصودة ينشأُ منها نظام العالم . وقالوا ان في الانسان روحاً ونفساً اما الروح فمشتركة بينهُ وبين بقية الاحياء من نبات وحيوان وهي هالكة واما النفس فهي نفحة من الله وكأَنها قسم منهُ وهي القوة العاقلة المرشدة الى معرفة الخير والشر الحاكمة على الاهواء والاعمال اذا اطاعها الانسان . ولكنهم اختلفوا في بقائها بعد الموت بذاتها والظاهر من كلام اوريليوس انهُ كان متردداً في المسئلة مفوّضاً الامر الى الله . وقال بعضهم ” ليس الموت شيئاً يُعتَدُّ بهِ ولا هو شرٌّ بل هو غياب الشر “ وقال غيرهم ” لا شيءَ بعد الموت ولا الموت نفسهُ شيءٌ “

واما الحياة الادبية عندهم فكان المبدأ الرئيسي فيها ان يعيش الانسان بحسب ما يؤدي اليهِ طبعهُ وطبع الكون اي انهُ يطيع القوة العاقلة فيهِ بناءً على ان العمل بحسب الطبيعة هو العمل بحسب العقل وما كان مخالفًا للعقل فهو مخالف للطبيعة وهو عبارة عن الطاعة للنواميس الادبية التي تأمر بالخير وتنهى عن الشر بحيث يكون الانسان صادقًا مخلصًا عادلاً بارًّا لا كاذبًا منافقًا ظالمًا شريرًا . وكل ذلك لا يختلف البتة عما تأمر بهِ الاديان او تنهى عنهُ الاَّ ما حللهُ بعضها من الكذب والجور على من لا يدينون بدينهم وهو حكم قاطع على فساد كل مذهب يقول هذا القول . وجلّ تعاليمهم انهُ يجب على الانسان ان يتحرَّر من اهواء النفس وان لا يكترث لفرحٍ او حزن وان يخضع بلا شكوى للضرورة المتسلطة على كل ما يكون

وشدَّدوا في التحريض على امرين الاول انهُ لما كان الانسان جزءًا من النظام الاجتماعي وجب عليهِ ان يوجه اعمالهُ كلها لخير الناس الذين هم انسباؤُهُ في الجنسية والعقل . ومن اقوال اوريليوس في ذلك ” اننا خُلقنا للمشاركة في العمل كما خُلق اليدان والرجلان والجفنان والفكان وعلى ذلك يكون ما يعملهُ بعضنا ضد البعض الآخر مخالفًا للوضع الطبيعي “

والامر الثاني الصفح عن الذنوب وفي ذلك يقول اوريليوس ” افضل السبل للانتقام من المسيء اليك ان لا تصير مثلهُ . اذا اساء اليك احد فانظر في الحال الى ما يسوقهُ الى الخير او الشر فترى انهُ يستحق الشفقة لا الغضب “ . غير ان هذا النوع من التجاهل لا يُقبل عند الجمهور وانما يجب الصفح عما لا يضرُّ بالمصلحة العامة او في ما اذا كان المسيء لا يعلم ماذا يفعل . ومن هذا القبيل قول المسيح ” يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون ماذا يفعلون “ واما في غير ذلك حيث يريد الشرير السوء عمدًا فكثيرًا ما لا يرتدع الاَّ اذا خاف ان يعامَل بالمثل او خاف من العقاب الذي يوجبهُ الشرع وهو جزاءٌ لهُ وعبرة لغيرهِ . والناس مختلفون في ذلك فيصح فيهم قول الفيلسوف العربي ابي الطيب المتنبي

اذا انت اكرمت الكريم ملكتهُ   وان انت اكرمت اللئيم تمرَّدا

سئل كنفوشيوس الذي يدين اهل الصين بدينهِ هل يجب ان يجازى المسيء بالاحسان قال فبماذا اذن تجازون المحسن بل يجب ان يجازى المسيء بالعدل والمحسن بالاحسان . وقال ان من يكافئ الشر بالخير يحاول دفع الضرعن نفسهِ

وقيل بل يجب الصفح عن كل الذنوب كيف كانت وبلا قيدٍ وهو ما ذهب اليهِ اوريليوس ورفقاؤُهُ الرواقيون وما جعلهُ الدين المسيحي ركنًا ثابتًا وشرطًا لازمًا بقولهِ ان الله لا يغفر ذنوبنا الاَّ اذا غفرنا لمن اذنب الينا

"والخواطر" او التاملات المنسوبة الى اوريليوس كتاب صغير موَّلف من اقوال حكمية مفيدة كتبها في ازمنة مختلفة بحسب ما خطرت لهُ . قيل كتبها لنفسهِ وقيل لابنهِ كومودوس لكن ابنهُ لم يعبأ بها. والاصل اللاتيني معقَّد العبارة بعضهُ لا يفهم ولذلك كانت ترجمتهُ الى لغة اخرى امرًا عسيرًا جدًّا . وقد اخذتُ المنتخبات الاتية عن ابلغ ترجمة الى اللغة الانكليزية وعنيت بتوضيح العبارة وتلخيص المعنى وتنسيق المسائل

الصلاح

لا يتمّ الصلاح الاَّ بمراعاة المبادىء العامَّة التي يتعلق بعضها بطبع الكون والبعض الآخر بالطبع الخاصّ بالانسان

لاسبيل لك مع الناس الاَّ المحبة لهم فانظر الى فضائلهم بالمدح والى ذنوبهم بالاشفاق والرِّفق والى اذاهم بالصفح

اجعل حياتك صادقة مستقيمة الى غاية ما يمكن واصنع بالهدوّ ما يوجبهُ الزمان والعمل ولا تشغل نفسك بالهمّ في ما قد يأتي بهِ المستقبل

اذا انتهجتَ الصلاح والحياء والصدق والفطنة والشهامة فاحرص عليها واذا عدلت عنها فارجع اليها في الحال

كما تكون افكارك هكذا تكون اخلاقك. لا تتشدَّق في ما يجب ان يكون المرءُ عليهِ من الصلاح بل كن كذلك

العمل

كثيرًا ما يفرِّط الانسان في اهمال العمل كما قد يفرط في العمل

كلما صادَرك عملٌ سَلْ نفسك هل اندم اذا فعلتهُ

اذا عملتَ شيئًا للخير العام فقد نلت ثوابك . فاذكر ذلك دائمًا ايها الانسان ولا تكفّ عن عمل الخير

احصد حصاد الحياة كما تحصد سنابل الحنطة البالغة

مرِّن نفسك ولو على الاشياء التي تيأس من عملها وخذ مثالاً على ذلك اليد اليسرى فانها اقدر على ضبط العنان من اليمنى بسبب التمرين

لكل موجود غاية فما هي غاية وجودك . ان قلت هي اللذَّة فالعقل يخالفك في ذلك

اذا لم يكن الشيءُ حلالاً فلا تفعلهُ واذا لم يكن حقًّا فلا تقلهُ

لا يزعجني الأَ امرٌ واحد فقط وهو اذا عملتُ شيئاً لا يبيحهُ الطبع البشري او لا يبيح كيفيتهُ او لا يبيحهُ الزمن الحاضر

يجب ان تقدَّر قيمة المرء بالمطالب التي يسعى اليها

لا تعمل شيئاً بلا تبصُّر وغرض مقصود ولتكن كل اعمالك عائدة لخير العموم

إعتنِ بالامر الذي امامك سواءٌ كان رأْياً او قولاً او فعلاً

كل ما تدعوك اليهِ عزَّة النفس بادر اليهِ في الحال بلا تردّد ولا ارتياب

الغضب

متى هاج الغضب فيك اذكر ان من شيم الرجال الحلم واللين لا اعطاء النفس هواها . وكلما كان المرء خالياً من حدّة الغيظ كان اقرب الى القوة

الضيق والصبر

لتكن حاجاتك قليلة ولا تبثّ همك الى احد

كل ما يحدث انما يحدث بنوع اما انك مجبول بالطبع لاحتمالهِ او لعدم احتمالهِ. فان كان مما تحتملهُ بالطبع فلا تشكُ وان كان مما لا يستطيع طبعك ان يحتملهُ فلا تشكُ. ولكن اذكر انك قادر بالطبع ان تحتمل ما تعلم انهُ يكون لك منهُ فائدة او ما يجب عليك احتمالهُ

في كل مكان وزمان لك طاقة على التسليم بحالتك الحاضرة والانصاف لمن حولك من الناس

ما اتاك من ضيق فمن العدل لانك اخترت الصلاح غداً لا اليوم

القلق والضجر

لا تقلق فان كل الامور جارية بحسب طبيعة الكون وعما قريب لا يعرفك احد ولا مكان . ثم انظر الى عملك وتدبَّرهُ واسعَ الى الصلاح وقل قولاً عادلاً بالبشاشة والحشمة وبدون رياء

لقد اصاب كتبة الروايات في قولهم اذا اهملتني الآلهة انا واولادي فلذلك سبب وقولهم لا تضجر ولا تقلق مما يقع

وفِّق نفسك لاحوال نصيبك في الحياة وأَحبب الناس الذين قدِّر لك ان تعيش معهم محبة خالصة ولا تضجر من حالك الحاضرة

لا تقلق لما يأتي لانهُ اذا اتى فسيكون لك من قوة التدبير ما لك الآن في الامور الحاضرة

قصر الحياة والموت

عما قريب تنسى كل شيء وعما قريب ينساك كل احد

عما قريب يغطّينا التراب جميعاً ثم يتغير التراب وما ينشأُ من هذا التغيير يتغير ايضاً وهكذا الى الابد · فاذا تأَمل الانسان في هذه التقلبات المتعاقبة كتعاقب الامواج ونظر الى سرعة سيرها احتقر كل ما هو فانٍ

انظر الى كل ما هو كائن فتراهُ ينحلُّ ويتغير ويفسد ويتفرَّق وترى ان كل شيء مجبول بالطبع لينتهي الى الموت

اذكر انهُ عما قريب لا تكون شيئاً ولا يبقى شيء مما تراهُ

اذكر ان الذين تضجروا من نوائب الدهر والذين اشتهروا بالصيت الذائع والذين نالهم حظ من الاسواء والعداوة قد هلكوا كلهم ولم يكن من امرهم الاَّ دخان ورماد وقصة تحكى او لا تحكى

ما اقصر ما قدّر للانسان من الزمان وما اضيق القسم الذي يشغلهُ من المكان وما اصغر البقعة التي يدبّ عليها من مجموع الارض . فلا شيء كبيراً الاَّ العمل الصالح

لا تعش كأَنَّ لك عشرة آلاف سنة ترميها ضياعاً فان الموت واقف عند بابك فاصلُح لشيء ما دمت حياً وانت قادر عليهِ

شرّ الناس

الناس يحتقر بعضهم بعضاً ويتملَّق بعضهم بعضاً ويريدون التفوُّق بعضهم على بعض ويتذللون بعضهم لبعض

ما بلغ احد من السعادة ما اذا جاءَت ساعة موتهِ لم يسرّ بعض الناس بذلك · فانهُ اذا كان صالحاً عاقلاً قالوا قد تخلصنا من هذا المعلم الذي يعيب اعمالنا . هذا ما يقولونهُ في الرجل الصالح واما نحن فكثيرون يريدون موتنا لاسباب شتَّى · فاذكر ذلك ايها الانسان متى اتاك الموت ومت راضياً وقل اني راحل عن الحياة وهو ما يريدهُ رفقائي الذين كثيراً ما سعيت الى خيرهم لعلهم يجدون في ذلك شيئاً من النفع لانفسهم

اذا اخطأَ اليك احد فاذكر هذه الامور . اولاً انك انت ايضاً تخطئُ في اشياءَ كثيرة وانك بشرٌ كغيرك وانك اذا امتنعت عن بعض الذنوب ففيك الميل اليها ولا تعملها جبناً او خشية العار او لسبب آخر حقير . ثانياً انك لا تدري هل ما يعملهُ الناس شرٌّ مقصود او لا لان كثيراً من اعمالهم ناشئ عن مقتضى الحال وانهُ كثيراً ما يتعسر على الانسان الحكم المصيب

على اعمال غيرهِ . ثالثاً متى ضايقك الناس واحزنوك اذكر ان حياة الانسان ليست الاَّ لمحة اذا انقضت صرنا جميعاً تراباً . رابعاً ان ما يأتي علينا من الغضب والقلق اشدُّهُ ما نشعر بهِ في انفسنا لا مما يكون في الاعمال الجائرة التي تسببهُ . خامساً ان الخلق الطيب لا يقهر اذا كان صحيحاً لا تصنعاً لانهُ ماذا يفعل بك الجائر الظالم اذا دُمت على المعروف والاحسان اليهِ . سادساً انتظار عدم الشرّ من الاشرار جنون ومحال لانك اذا رأيتهم يسيئون الى غيرك فكيف تنتظر انهم لا يسيئون اليك

مذمَّة الناس

اذا ذمك احد او ابغضك او قال فيك سوءا فانظر اليهِ وتبصَّر في حالهِ فترى ان لا داعي للاهتمام بما يظنهُ فيك خيرًا او شرًّا (وهو كقول ابي الطيب المتنبي

واذا اتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي باني كاملُ)

لا تمكّن احدًا من قولٍ يصدق فيك انك منافق شرير بل ليكذبنَّ في ما يقولهُ . وهذا في طاقتك لان من يستطيع ان يمنعك عن الصلاح والاخلاص

اذا احتقرني احد فهو وشأنهُ واما انا فشأني الحذر من كل قول او عمل يوجب الاحتقار. واذا ابغضني احد فهو وشأنهُ واما انا فشأني اللطف والمعروف لكل احد

التعويل على النفس

طب نفساً ولا تطلب عونًا او راحةً من احد فان المرءَ يجب ان يقف منتصبًا من تلقاء نفسهِ لا مسنودًا من غيرهِ

انا لا اختار قبول معروفٍ لا اقدر على مقابلتهِ بالمثل

السعادة

قد عرفت من الخبرة ان السعادة ليست في المباحث العقلية ولا في الغنى ولا في الشهرة ولا في الملذات ولا في مكان . فاين هي اذن . هي في عمل ما يقتضيهِ العقل وهو انهُ لا خير للمرء الاَّ الانقياد الى المبادىء التي ينشأُ منها العدل والعفة والمروءَة والحرية وان لا شر لهُ الاَّ في مخالفة ما ذكر

حِكم متفرقة

لا حاجة الى الخوف لان لك ان تنظر الى ما يجب عملهُ فان كان واضحًا فاذهب فيهِ وان كان مبهمًا فقف واستشر خبيرًا حكيماً

في الكون إما ضرورة محتومة ونظام لا يُقهر واما عناية ربانية واما تشويش لا قصد فيهِ ولا مرشد لهُ . فان كانت الضرورة التي لا تغلب فما الفائدة من مقاومتها وان كانت العناية التي تلتمسها فكن مستحقاً لها وان كان التشويش فلا مدبر فلك في نفسك عقل تتدبر بهِ

كيف يمكن ان الله الذي اتقن كل امور الكون واظهر احسانهُ للبشر يهمل اهل الصلاح الذين تقربوا اليهِ متى جاء الموت ويقضي عليهم بالفناء والانقراض

متى شعرت بالهمّ والغمّ لامرٍ اصابك فقد نسيت ان كل ما يحدث انما يحدث تبعاً لنواميس الكون . ونسيت انهُ اذا اضرَّك احد فليس ذلك من شأنك . ونسيت ان كل ما يجري قد جرى كذلك دائماً وسيجري كذلك وهو جارٍ الان في كل مكان

من أساء فقد أساء الى نفسهِ . ومن ظلم فقد ظلم نفسهُ لانهُ صيَّر نفسهُ رديئاً

كما تستقبح في الغسل كل قذرٍ فيك او في الماء الذي تغتسل بهِ فهكذا اكره كل ما تراهُ في الحياة وعلى الارض من القذر

يوحنا ورتبات

التلغراف اللاسلكي

كثر الخلاف الآن بين الانكليز والاميركيين والالمانيين في اي نوع من انواع التلغراف الذي لا سلك لهُ افضل من غيرهِ وايها يجب استعمالهُ دون سواهُ فان الانكليز اعتمدوا على اسلوب مركوني والاميركيين والالمانيين على غيرهِ . والذين خالفوا الانكليز يحاولون سلب مركوني حقهُ في استنباط هذا التلغراف اوحمل الحكومة الانكليزية على جعل الانواع كلها متماثلة حتى تستطيع ان تتبادل الاشارات التلغرافية . والحكومة الانكليزية تفضل ان تستقل بآلات مركوني حتى تبقى اخبارها محصورة فيها لا يطَّلع احد عليها . وقد كتب المستر هنيكر هيتون احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي في هذا الموضوع مقالة نشرها في مجلة القرن التاسع عشر جاء فيها على خلاصة تاريخ هذا التلغراف وتقدمهِ ومزاياهُ على غيرهِ فاقتطفنا منها ما يأتي

وُلد مركوني في مزرعة جريفون قرب بولونيا بايطاليا سنة ١٨٧٤ وتعلَّم في كلية بولونيا. ولم يبلغ الرابعة او الخامسة من سنهِ حتى ظهر فيهِ الميل الى الاختراع فكان يجني ثمر العلّيق ويعصر منهُ حبراً يلطخ بهِ ثيابهُ

وفي سنة ١٨٨٨ أبان الاستاذ هرتز الالماني ان الشرارة الكهربائية تجعل الامواج الكهربائية تنتقل في الاثير الى كل الجهات كما يحدث في بركة ماء اذا القي فيها حجر . وقد سمّيت هذه الامواج امواج هرتز نسبة اليهِ وسرعتها مثل سرعة النور فتدور حول الارض ثماني مرّات في الثانية من الزمان . فخطر لكثيرين من المشتغلين بالكهربائية وفي جملتهم بعض المشاهير مثل اولفر لودج والسر وليم بريس والاستاذ برانلي والاستاذ لنلي والاستاذ سلابي وغيرهم ان يستخدموا الامواج المذكورة في التلغراف فلم يفلحوا اذ لم يكن هناك بدٌّ من امرين الواحد نقل القوة الى مسافة بعيدة والآخر اختراع آلة تؤَثر تلك القوة فيها . ومعظم الصعوبة من الوجه الميكانيكي . وكان السر وليم بريس قد تمكن من ارسال الرسائل البرقية مسافة اميال قليلة بلا سلك وبغير واسطة امواج هرتز وسبقهُ مورس (مخترع التلغراف) فتمكن سنة ١٨٤٤ من ارسال الرسائل البرقية بلا سلك تحت الماء مسافة ميلين ونال بهِ امتيازًا ولكن أُهمل امرهُ ومات قبلما ولد مركوني

وكان مركوني قد شغف بالكهربائية وآياتها الباهرة فجعل يجرب التجارب العديدة لحل هذه المشكلة فلم تأتِ سنة ١٨٩٥ حتى تمَّ لهُ الظفر فسجل اختراعهُ في ايطاليا حالاً ونال بهِ امتيازًا . وفي السنة التالية قصد انكلترا وسجل اختراعهُ فيها ثم في غيرها من البلدان . واول تجربة جرّبها في انكلترا كانت في مجلس النواب حيث ارسل رسالة برقية بطريقتهِ الى الضفة المقابلة من نهر التمس على بعد ٢٥٠ يردًا . وفي يونيو سنة ١٨٩٧ ارسل رسالة اخرى مسافة ٩ اميال . وفي يوليو رسالة ثالثة مسافة ١٢ ميلاً . وفي سنة ١٨٩٨ أُرسل رسالة رابعة الى فرنسا مسافة ٣٢ ميلاً . وفي سنة ١٩٠١ ارسل رسالة اخرى مسافة ٣٠٠٠ ميل . ولما مرض ملك انكلترا الحالي وهو على ظهر يختهِ سنة ١٨٩٨ (وكان حينئذٍ وليًّا للعهد) كانت اخبار صحتهِ ترسل الى الملكة فكتوريا والدتهِ في اوسبورن بتلغراف مركوني

ولم يمضِ الاَّ القليل حتى استعملت تلغراف مركوني ست عشرة شركة من شركات البواخر الكبيرة ومن ضمنها شركة نوردويتشرلويد وشركة خط همبرج واميركا وكلتاهما المانيتان . وأُنشئت محطات لهُ في جميع جهات الارض ووضعت آلاتهُ في كثير من البواخر فتستطيع ان تخاطب بعضها بعضًا وهي في عرض البحر وتخاطب المحطات التي على البر . ومنها ما ينشر جرائد يومية تتضمن احدث الاخبار . وترى الماليين يديرون الآن زمام بنوكهم واشغالهم وهم جلوس في البواخر الماخرة في العباب والمرضى يرسلون تقاريرهم اليومية الى اهلهم واصحابهم . والبوستة الانكليزية تقبل الرسائل الواردة بهذا التلغراف من جميع السفن وترسلها الى اصحابها

ولشركة تلغراف مركوني اربع شركات مناظرة لها واحدة المانية واثنتان اميركيتان وواحدة انكليزية وكلٌّ منها تدعي ان لها مزية على غيرها · اما الالمانية فتستخدم طريقتها في المانيا وغيرها من بلدان اوربا · واما الاميركيتان فواحدة منهما تستخدم طريقة فسندن وهي ارخص من غيرها . والاخرى شركة دي فورست وقد اشتهرت بان التيمس استخدمتها في حرب روسيا واليابان · واما الانكليزية فتستخدم طريقتها اي طريقة مركوني في نظارة الحربية الانكليزيَّة

ومن اعظم التجارب التي عملها مركوني لاول عهدهِ باختراع التلغراف اللاسلكي تجربةٌ بين انكلترا واميركا وهي التجربة التي اذاع البرق خبرها في حينهِ

واول رسالة رسمية حملها هذا التلغراف هي التي ارسلها الرئيس روزفلت في ١٩ يناير سنة ١٩٠٣ من ولاية مستشوستس الى ملك انكلترا وهذه ترجمتها :

"جلالة الملك ادورد السابع بلندن

اني اغتنم فرصة الفوز العجيب الذي فازهُ البحث العلمي والمهارة العملية في اتقان التلغراف الذي لا سلك لهُ واقدم لكم ولكل شعب الامبراطورية البريطانية التحيات القلبيَّة والدعوات الصالحات بالنيابة عن الشعب الاميركي الامضاء ثيودور روزفلت"

وقد نشرنا ذلك في حينهِ انظر المجلد الثامن والعشرين من المقتطف صفحة ١٨٥

ومن اهم الرسائل التي أُرسلت بتلغراف مركوني رسالة من انكلترا الى البارجة رنون التي كانت تخفر بارجة ولي عهد انكلترا عند سفرهِ الى الهند في اكتوبر الماضي وردت عليها الرسالة وهي عند مدخل ترعة السويس بعد ان مرَّت فوق القارة الاوربية بسرعة البرق بل رسولها البرق عينهُ

وجريدة الديلي تلغراف تنشر صباح كلّ يوم تقريرًا ضافيًا عن حالة الجوّ والهواء في جميع ثغور الاوقيانوس الاتلنتيكي يأْتيها بالتلغراف اللاسلكي فيمكن بذلك انباء البواخر باماكن الانواء والعواصف وهي ماخرة في اليمّ فتجتنب الخطر

اما تأْثير طريقة مركوني فسيكون تخفيض اجرة الرسائل البرقية فقد عرضت شركة مركوني على الحكومة الانكليزية انها تتكفل بارسال الرسائل البرقية الى الهند بنصف اجرتها الحاضرة ووعد مركوني بجعل اجرة الرسائل التي ترسل الى اميركا بنسة عن كلّ كلمة فيرسل ٢٥ كلمة في الدقيقة · ولا بدَّ من مرور وقت طويل قبلما يحلَّ التلغراف اللاسلكي محل التلغراف العادي ولكن النتيجة التي وصل اليها الآن تخفيض الاجرة كما تقدم

حقوق الامم

(٢) الحكومات

يطلق لفظ الحكومة الآن على ما يعبر عنهُ بالانكليزية بلفظ Government وايضاً على ما يعبر عنهُ بلفظ State والمقصود بها هنا هذا المعنى الاخير

اما الفرق بين الكلمتين فشاسع في اللغات الافرنجية فان State بالانكليزية او Etat بالفرنساوية مثلاً تطلق على مجموع دائم مستقل من الناس يملكون ارضاً لاحقَّ لغيرهم بها ويكونون متحدين تحت سلطةٍ واحدة لغرض واحد هو المحافظة على ولايتهم والتمتع بحقوقهم . ولا يخفى ان هذا التحديد اقرب الى كلمة "امة" منهُ الى "حكومة" بالمعنى المتعارف بين الناس ولكنَّ الفرق بينهما واضح ايضاً فانهُ قد تكون الامة مقسومة الى حكوماتٍ مختلفة متعددة كبولونيا مثلاً فانها امة واحدة مقسومة بين روسيا والمانيا والنمسا كما انهُ قد تكون الحكومة مؤلفة من امم مختلفة كمملكة النمسا والمجر او السلطنة العثمانية فلا يصحّ خلط الاثنتين معاً

واما كلمة حكومة المتداولة بين الناس والتي يتبادر معناها الى الذهن حال التلفظ بها فذات معنًى محدود غير مقصود في بحثنا هذا وهو ما يعبر عنهُ الافرنج بقولهم Government اذ يقصدون هيئة قابلة التبديل والتغيير بيدها ادارة شؤون البلاد وتنفيذها كمجلس النظار مثلاً في البلاد الدستورية او الملك في البلاد ذات الحكومة المطلقة

فبعد معرفة المقصود من كلمة "حكومة" عند ورودها في هذا البحث نقول :

الحكومات مثل الافراد تولد وتنمو وتتقدم او تتأخر . تكبر وتشيخ وقد تصغر فتفني . وليس من شأن علم الحقوق ان يبحث في كيفية وجود الحكومات والاسباب التي آلت الى تقدمها او انقراضها فلم يعد لها اثر فذلك شأن فلسفة تاريخ الشعوب وسياستهم اما علم الحقوق فينظر اليها كما هي سواءٌ كانت الحكومة المستقلة نتيجة حرب او ثورة او اتفاق وديّ او انفصال قهري او ما شاكل

ولا يخفى ان اهمّ دواعي تكوين الحكومات في القرون الوسطى كان الفتح او الاغتصاب او انقسام الممالك بين افراد اسرة مالكة او ضمّ دولة الى اخرى عقب عقد زواج بين احد افراد اسرة مالكة او ضمّ دولة الى اخرى عقب عقد زواج بين احد افراد اسرة حاكمة واحد افراد اسرةٍ اخرى . ولكن ليس الامر كذلك في ايامنا هذه بل ترى ان معظم اسباب تكوين الحكومات الجديدة كان اما نتيجة تخلصها من حكومة غريبة كاليونان ورومانيا والسرب

او انفصال مستعمرة عن الحكومة الاصلية كالولايات المتحدة وجمهوريات اميركا الجنوبية او انفصال وديّ باتفاق كانفصال بلجيكا عن هولندا او مهاجرة عدد عظيم من الشعب الى مكان يقيمون فيهِ وينشئون حكومة جديدة مستقلة كالترنسفال قبل ضمها الى املاك بريطانيا العظمى

على انهُ مهما كانت الاسباب التي تؤدي الى وجود حكومة جديدة فلا بدَّ لهذه الحكومة عند ظهورها في العالم الدولي الحقوقي ان تطلب من اخواتها الحكومات الاخرى ان تعترف بها حكومةً مستقلة منفردة والاَّ فاذا أُهملت ولم ترضَ الحكومات الاخرى ان تعترف لها بسلطة خارجية تمثلها فلا يصح التعامل الدولي بين الفريقين ولا تكون حكومة بنظر القانون وان كانتها بالفعل

وليست الحكومات مجبورات على الاعتراف بحكومة جديدة بل لهن ان يتجاهلن وجود هذا العضو الجديد في نظام الامم ولهنَّ ان يسرعن او يبطئن في الاعتراف بها وعليهِ ابت انكلترا في مؤتمر السلم الذي عقد في الهاي ان تعترف بالترنسفال حكومة مستقلة ورفضت ان تأتي الى المؤتمر وفيهِ مندوب عن الترنسفال فوافقتها الدول على ذلك

والعادة ان الحكومة الجديدة او الدولة الجديدة ترسل مندوبين سياسيين الى بقية الحكومات يمثلونها امامها او انها تستطلع الآراء قبل ارسالهم فاذا قبلت الدولة المندوب وارسلت هي آخر يمثلها لدى تلك تم التعارف واصبحت الحكومتان في درجة واحدة من الحقوق والواجبات في نظر علم حقوق الامم . اما اذا اصرّت احدى الحكومات على رفض مندوب الحكومة الجديدة فيوخذ فعلها هذا دليلاً على تجاهلها وجود تلك الحكومة ويؤدي هذا التنافر الى تعطيل تجارة البلادين والاضرار بالمنتمين الى الحكومتين في معاملاتهم التجارية والحقوقية اذا رحلوا من بلادٍ الى أُخرى . فان انكلترا لم تعترف بالولايات المتحدة حكومة مستقلة الاَّ في سنة ١٧٨٣ مع انها استقلت في سنة ١٧٧٦ ولكنها اعترفت بحكومة ايطاليا قبل ان تعترف بها فرنسا والنمسا وبروسيا . فالاسراع في الاعتراف بحكومة جديدة او الابطاء بهِ او رفضهُ مطلقاً تتوقف عادةً على المنفعة التجارية او السياسية التي تجنيها الدول من هذه الحكومة الحديثة العهد

ولكن كما ان هناك اسباباً توجد حكومات جديدة كذلك هناك اسباب تؤدي بالحكومات الى الفناء او الانقراض او الضياع . فقد تكون حكومتان مستقلتان ثم تتحدان وتؤلفان حكومة واحدة . وقد تضمّ حكومة قوية اخرى صغيرة اليها اما طوعاً او كرهاً وقد ينقرض السكان كلهم او معظمهم او يهاجرون عن بكرة ابيهم — كل هذه دواعٍ تذهب بالحكومات من عالم الحقوق الدولي وتحدث فراغاً البحث في عواقبهِ من الاهمية بمكان

فلنفرض ان حكومة فقدت جزءًا من استقلالها او فقدتهُ كلهُ لسببٍ من الاسباب فماذا تكون نتيجة ذلك على المعاهدات والاتفاقات المعقودة بينها وبين باقي الحكومات ٠ او ماذا تكون نتيجتهُ على الديون العمومية التي اقترضتها هذه الحكومة من الحكومات الاخرى ٠ او على العقار والاملاك التي كانت ملكاً للحكومة من قبل

قال موسيو بونفيس الفرنساوي جوابًا على هذه الاسئلة (وعن هذا المؤلف اخذت معظم ما جاء في هذا المقال) : "لمعرفة التغيير الذي يطرأ على المعاهدات المعقودة بين حكومة زالت من الوجود واخرى باقية يجب ان ينظر الى الانقلاب الذي طرأ على الحكومة فاما ان يكون انقلابًا داخليًّا كأن تتغير هيئة الحكومة من جمهورية الى ملكية او بالعكس او ان يكون انقلابًا عامًّا يفقد الحكومة استقلالها فتلحق باخرى ولا يعود لها شأن في المعاملات الدولية

فاذا كان الانقلاب داخليًّا وكانت المعاهدات معقودة بين رئيس الحكومة المنقلبة بصفته الشخصية وبين رئيسٍ آخر بهذه الصفة نفسها فلا شك ان هذه المعاهدة تزول بزوال هيئة الحكومة ٠ وان مثل هذه المعاهدات قليل الآن ولكنهُ لم يكن نادرًا في الزمان السالف فهكذا كانت المعاهدة بين سلطان القسطنطينيةَّ وبين فرنسيس الاول ومثلها اتفاقية لويس الرابع عشر مع جيمس الثاني الانكليزي ومثلها ايضاً معاهدة نابوليون الثالث مع مكسيمليان النمساوي. واما اذا لم تكن المعاهدة شخصية فلا يؤثر فيها الانقلاب الداخلي الذي يطرأ على الحكومة بل يمتدّ مفعولها الى الهيئة التي تحلّ محل الهيئة السالفة

اما اذا انقلبت الحكومة انقلابًا عامًّا نقض اساس وجودها وجعلها تابعة بعد ان كانت مستقلة او متبوعة فلا ريب ان المعاهدات االتي عقدتها تنقرض معها اللهمَّ الاَّ اذا كان هذا الانقلاب نتيجة اتفاق وديّ بين حكومتين امتزجتا او واحدة ضمت طوعاً الى الاخرى فعلى المعترف بها منهما ان تعقد معاهدات مثل المعاهدات المنفسخة او ان تجدّد غيرها

وحكم الاملاك والعقار والمنقولات التي كانت تمتلكها الحكومة الذاهبة حكم الاشياء التي تكون ملكاً لواضع اليد بلا قيد ولا شرط فهي للحكومة المالكة على الاطلاق

على ان ما قيل عن المعاهدات والاملاك لا ينطبق على ديون الحكومة الزائلة بل لا بدّ للحكومة التي ضمت اليها الاولى طوعاً او كرهاً ان تتحمل كلّ تلك الديون وذلك اتباعاً للمبدإ القائل " الغرم بالغنم " كما فعلت بروسيا عند ما ضمت اليها هانوفر وهيس وناسو وكذلك على الحكومة المنفصلة عن حكومة اخرى ان تتحمل الجزء المناسب من الدين العمومي الاصلي "

سامي جريديني المحامي

علم الاخلاق

تمهيد

للفيلسوف هربرت سبنسر نظام في الفلسفة سمَّاهُ "نظام الفلسفة التركيبية" وضمنهُ مطالب شتى منها مطلب في مبادىء البيولوجيا (اي علم الحياة) وآخر في مبادىء السيكولوجيا (اي علم النفس او الفلسفة العقلية) وآخر في مبادىء السسيولوجيا (اي علم الاجتماع) وآخر في مبادىء الأثكس (اي الفلسفة الادبية او علم الاخلاق)· ومباحث المطلبين الاوَّلين عويصة يشكل فهمها حتى على الراسخين في ذينك العلمين بخلاف المطلبين الآخرين فان مباحثهما اقرب منالاً واقلُّ اشكالاً · وقد نشر المقتطف فصولاً من علم الاجتماع مترجمة بقلم بعض كتابنا واما علم الاخلاق فلم ينشر منهُ شيءٌ بالعربية عن سبنسر فرأَينا ان نوافي القراء بفصول منهُ كلما تيسر ومن ذلك هذا الفصل في الاعتداء او العدوان

(١) الاعتداء

يراد بالاعتداء اعمال متعددة متنوعة يتعذر الكلام عليها كلها في مقال واحد . فأَقتصر الآن على الاعمال التي تلحق ضررًا بدنيًّا بالغير من الجرح الى القتل

غير ان بين الاعمال الدموية اي التي تعد قتلاً تامًّا او جزئيًّا صنوفًا شتى لا تندرج تحت الاعتداء على ما يفهم منهُ عادةً · مثال ذلك الاعمال التي لا تنطوي على عداوة او خصام· واولها قتل الاطفال

لم يكن القدماء يحسبون قتل الاطفال جناية ولا يزال بعض الاقوام المعاصرين لنا يجرون هذا المجرى بل ان منهم من يعدهُ امرًا واجبًا · من ذلك قتل الاطفال الذي يرتكب إبقاء على البالغين كما لو كانت قبيلة عرضة لخطر المجاعة فان زيادة عددها قد تزيد الطين بلةً وتفضي الى هلاك رجالها · ومنهُ قتل البنات الذي يرتكب مراعاة للحروب بين القبائل المتضاغنة فان البنات يقتلن اذ ذاك لانهنَّ لا ينفعن لحرب ولا لطراد وزيادتهنَّ تضرُّ القبيلة لانهنَّ يساعدنَ على استهلاك طعامها · ومنهُ قتل الاطفال الذي يرتكب مطاوعة لسورة غضب وهذا يعدُّ بين المتوحشين والامم القليلة التمدن امرًا ليس بذي بال· ومنهُ قتل الاولاد بين آكلي لحوم الآدميين اكرامًا لرؤَسائهم احياءً كانوا او امواتًا

ومن ضروب القتل المصطلح عليها عند بعض الامم تضحية البالغين عند موت ملوكهم او رؤَسائهم· وكذلك تضحية الارامل عند موت ازواجهنَّ ليرافقنهم الى العالم الآخر وتضحية

خدمهم ليخدموهم بعد الموت كما كان يجري في بلدان كثيرة ولا يزال يجري الى الآن في بعض جهات افريقية . أضف الى ذلك قتل الرجل في الداهومي ليحمل رسالة من الملك الحي الى احد اسلافهِ في الآخرة

ومن القتل ما تأمر بهِ العقائد الدينية كما كان يفعل الفينيقيون واليونان والرومان القدماء والاشوريون والعبرانيون وغيرهم مثل اهالي المكسيك القدماء فانهم كانوا يضحّون الوفاً من الانفس كلّ سنة على مذابحهم ويشهرون الحروب بحجة ان الآلهة جائعة

ولننتقل الآن من الكلام على ضروب الاعتداء التي اتخذت شكل القتل ولم تنشأ عن ضغينة شخصية ولا عن حزازات بين قبيل وقبيل الى ضروب الاعتداء التي سببها ظمأ الى شرب الدماء . فابدأ باهالي جزائر فيجي فانهم كانوا يعدُّون القتل امرًا حسنًا وهو مما لا يكاد يصدَّق لو لم يروِ الثقات ما يشبه ذلك بين امم اخرى . قال لفنستون ”جلس رجل من البشمن (في افريقية) ذات يوم امام النار يحدثنا عما لقي في زمانهِ من الاخطار فقال اني قتلت خمسة من البشمن — امرأتين ورجلاً وولدين . فانتهرتهُ وقلت لهُ افٍّ لك اتفتخر بقتل النساء والاولاد من عشيرتك . ماذا يقول لك الله يوم تمثل بين يديهِ . فأجاب انهُ يقول لي لا شلت يمينك ما ابرعك . واتضح لي انهُ كان يكلمني عن الله عزَّ وجلَّ كأَنهُ زعيم من زعمائهم“

واغرب من ذلك ما رواهُ ولسن عن شعور اهالي اوغندة من هذا القبيل . قال ”كان متيسا ملك اوغندة يستخدم شابًا من بطانتهِ (وهو ابن احد الزعماء) لحمل رسائلهِ اليَّ . فجاءني يومًا وهو يكاد يجنُّ من الفرح ويقول انهُ قتل اباهُ . فسألتهُ ولِمَ قتلتهُ فأجاب ”اني مللت من وجودي خادمًا فأردت ان اكون زعيمًا واستشرت متيسا في ذلك فقال لي اقتل اباك تخلفهُ في الزعامة . ففعلت حسب مشورتهِ“

وهناك امثلة وشواهد كثيرة تدلُّ على ان القبائل التي تعيش بالغزو والنهب تعدُّ القتل فضيلة والمسالمة نقيصة . قال بعضهم ”لا يزال عرب الحجاز يكرمون اسم ”حرامي“ الى الآن . والذي نعدُّهُ سعيدًا لانهُ مات على سريرهِ يسمونهُ هم فطيسًا وتندبهُ امهُ قائلة ياليت ابني مات بيد قاتل فتجيبها النادبات العجائز اللواتي التففن حولها قائلات ان هذا الشرَّ حدث بقضاء الله وقدرهِ (١)“

---

(١) هذا ما ذكرهُ سبنسر عربناهُ بحرفهِ ولم يقل من اين اخذهُ ليسهل علينا ردهُ الى اصلهِ . اما ان العرب كانوا يفاخرون بالموت قتلاً فظاهر من اقوال شعرائهم . قال السموأَل في قصيدتهِ الفخرية المشهورة

ويغالي بعضهم في حسبان القتل فضيلة الى حدّ ان يقولوا ان الفردوس ميراث من يبالغ في قتل اعدائهِ مدى العمر والذين يقتلهم يكونون عبيداً لهُ مسخرين لخدمتهِ. وفي الشمال الغربي من الهند قبيلة لا تكاد تجد بينها رجلاً لم تلطخ يداهُ بالدماء وترى كلاًّ يعدُّ الذين قتلهم في زمانهِ

وكان بين آلهة الهنود والقدماء آلهة للقتل وسفك الدماء. فعندهم الاله اندرا وهم يلقبونهُ بالفاتح المهلك. والاله أَجني ويقولون انهُ فطر على ذبح الاعداء وتخريب المدن. وكانوا يتشبهون بآلهتهم فيفاخر ابطالهم بالفتوح ويصلُّون الى الاله اندرا قائلين ”ليكن لنا نصيب من مال من ذبحتهُ وأْتِ بنا الى منزل الرجل الذي يصعب قهرهُ“ وورد في كتبهم الدينية الوصايا الآتية

”ليسعَ الانسان في حمل عدوهِ على الثقة بهِ لسبب حقيقي ثم ليضربهُ في الفرصة الملائمة متى زلَّت قدمهُ قليلاً

” لا يبلغ الانسان مدًى بعيدًا من النجاح الَّا اذا ضرب عدوهُ ضربة تخترق عظمهُ وتقطع ما فيهِ من النخاع واتى امرًا تصطكُّ الركب لهُ روعًا

” ليُذبح كل ابن او اخ او اب او صديق يلقي العثرة في سبيل نجاح احد“

وكان ملوك اشور يتباهون بذبح الناس جماعات وارتكاب افظع الموبقات كما يستدل من نقوشهم. فقد ورد في وصف اعمال سنحاريب انهُ كان يخوض برك الدماء بمركباتهِ ويفتخر بما علق بعجلها من اللحم والدم. وقال اشور بانبال في وصف الاعداء الذين قهرهم ”فكنت اسحب السنتهم من افواههم واقطع اعضاءهم واطرحها للكلاب والادباب والنسور والعقبان وطيور السماء لتأكلها“. وقال تغلث فلاسر في وصف احدى حروبهِ وما حلّ باعدائهِ ”فغطّت جثثهم الاودية ورؤُوس الجبال“. وكانوا يقصدون بامثال هذه النقوش حفظها لكي يتحدث الخلف باعمالهم الوحشية ويعجبوا بها اي انهم كانوا يعتقدون صلاحها اذ لا يعقل انهم يسعون في تخليدها بالكتابات والنقوش لو كانوا يعتقدون ضد ذلك

تسيل على حدّ الظبات نفوسنا   وليست على غير الظبات تسيلُ
وما مات منا سيدٌ حتف انفهِ   ولا طلّ يوماً حيث كان قتيلُ
يقرِّب حبُّ الموت آجالنا لنا   وتكرههُ آجالهم فتطولُ

وقال عنترة العبسي

فيا ربّ لا تجعل حياتي مذمةً   ولا ميتتي بين النساء النوائحِ
ولكن قتيلاً يدرج الطير حولهُ   وتشرب غربان الفلا من جوانحي

ومثل هذه الابيات كثير

وكان الغاليُّون القدماء اذا قهروا عدوًّا لهم امعنوا في القتل وعادوا يحملون روُوس القتلى ثم ينصبونها على اوتاد او يحفظونها في صناديق · قال قيصر وكان الجرمانيون يتباهون كلما قل السكان في البلاد المجاورة لبلادهم من فرط اعتدائهم عليهم · وكان اهالي شمالي اوربا يعتقدون ان الجنة مكان قتال دائم مما يدلُّ اعظم دلالة على مبلغ اعتقادهم بفضل الاعتداء على الغير

ومما يدلك على شغف الناس الطبيعي بالاعتداء على غيرهم شغفهم بقراءة قصص المعارك والحروب فوق كل شغف وتراهم يلقبون كلاًّ من الاسكندر وبطرس وفردريك ونبوليون بالكبير مع ما اراقوا من الدماء الزكية · قال اللورد ولسلي في كلامهِ عن واجبات الجندي "وعليهِ ان يعتقد ان واجباتهِ اشرف ما قدر عملهُ لانسان وان يُعلَّم احتقار جميع الاعمال الملكية" · ولا تنحصر تلك الواجبات في دفاعهِ عن وطنهِ — وهو امر لا يفعلهُ البتة في هذه الايام — بل تتناول الاعتداء على بلاد الغير ولا سيما الشعوب الضعيفة · وشهوة الاعتداء تحول الضعة رفعة والدناءة شرفًا · نقرأُ في كتب الهنود ان الاله اندرا انتصر على امرأَة في الحرب ونسمع شاعرهم يطنب في مدح انتصار نعدهُ ضربًا من النذالة والجبن فنعجب من ذلك . ونحوّل انظارنا الى جدران الكرنك فنرى رعمسيس ممثلاً بصورة جبار ممسك بشعور ستة اقزام وقد اطاح روُوسهم عن ابدانهم بضربة واحدة من سيفهِ فنعجب ايضاً كيف يرضى ان يصوّر صورة تمثل انتصار القوي على الضعيف بمثل تلك السهولة · ولكن اذا سطت الجيوش المتمدنة بعددها الكاملة ومدافعها الفتاكة وقنابلها المهلكة على جيش ضعيف لا سلاح لهُ يذكر وغلبتهُ كما يغلب الرجلُ الطفل قامت جرائدنا قومة رجل واحد تلتمس الرتب والالقاب لقواد الجيوش الظافرة وحسبت اعمال الجنود المحاربة كريمة واعمال الملكيين المسالمين ذميمة

⁂

لا ريب اذًا ان العاطفة التي تسرُّ بتفوُّق الرجال الباسلين وتطيع من يأمرها بذبح الاعداء من غير ان تسأَل عن سبب موجب لذلك — تلك العاطفة لا تزال سائدة في القلوب على ان مفعولها ضعف بنمو عاطفة التوادّ بين الامم والشعوب المختلفة · فكما ان نجاح الامم يقاس بعضهُ بقدرتها على الفتح والتملك كذلك يقاس بقدرتها على كبح جماحها عن الاعتداء · ونرى كتب الاولين تشير الى نشوء عاطفة التحابّ والتوادّ بازاء عاطفة التعادي والتضاغن · ولكن لما كانت الاشارة الى ذلك خارجة من افواه الشعراء والحكماء فلا يصحُّ ان تجعل مقياسًا للاعتقاد العمومي السائد حينئذٍ اكثر مما يصحُّ قياس اعتقادنا من هذا القبيل الآن بما يوصينا بهِ وعّاظنا ورعاتنا من الصفح عن اعدائنا · غير ان الاشارة الى روح الغيرية في

كتابات الاقدمين بعد مرور زمان طويل ساد فيهِ السلام امر يستحق النظر . ومما ينبغي ذكرهُ ايضاً انهُ حدث رد فعل قوي آل الى التبشير بانكار الذات المطلق (الغيرية المطلقة) بعد سيادة الافعال العدائية وما تتصف بهِ من حبّ الذات المطلق . فترى الاجزاء القديمة من كتب الهنود الدينية المسماة ” مهبهراتا “ مفعمة بحديث الدماء وحبّ سفك الدماء بخلاف الاجزاء التي هي احدث عهداً منها فانها تذمُّ الحروب التي تقام بلا داع يدعو اليها . فقد جاء فيها ان القتال شرُّ الذرائع الى الفتح وانهُ يجب على الملك ان يمدَّ فتوحهُ بلا حرب . وجاء فيها ” عامل الغير كما تريد ان تعامل . ولا تفعل بجارك ما لا تريد ان يفعلهُ جارك بك . وقاعدة العمل ان تعدَّ جارك مثل نفسك “

وقال معلم هنديٌّ عاش في القرن الثالث قبل التاريخ المسيحي ” الرجل الصالح الذي لا يفكّر في شيءٍ سوى نفع عدوّهِ لا يضمر لهُ شرًّا ولا يطوي كشحهُ على عداوة ولو كان عدوُّهُ يشرع في قتلهِ “

وقال السعدي من كتّاب الفرس ” اظهر اللطف حتى لاعدائك . فقد سمعت ان رجال الله الصادقي الايمان لا يحزنون قلب احد من الناس حتى اعدائهم “

وقال لاوتسي الصينيّ ” السلام غاية الغايات . والرجل الذي يسرُّ بقتل النفوس لا يصلح لأَن تسلم اليهِ مقاليد حكم او سلطة في العالم . والذي كان آلة لقتل نفوس كثيرة سيبكيها بدموع مرّة “

وقال كنفوشيوس ” اذا قلّدت ازمة الاحكام فلمَ تعمدُ الى القتل بوجهٍ من الوجوه . اظهر الميل الى الصلاح ترَ الناس صالحين “

وقال منسيوس ” ان من لا يسرُّ بقتل الناس يستطيع ضمّ اجزاء السلطنة “ . وقال ” اذا كان سبب القتال النزاع على مُلْكٍ ذبح المحاربون بعضهم بعضاً حتى تغطي الجثث الارض . واذا كان سببهُ النزاع على مدينة ذبح بعضهم بعضاً حتى تمتلئ المدينة دماً . فالموت قليل في جنب جرم مثل هذا “ . ومع قدم عهد منسيوس فقد كانت عواطفهُ اسمى من عواطف ” البرابرة الغربيين “ (اي اهل اوربا) الآن . فقد وُصف الرقُّ بانهُ ” مجموع القبائح كلها “ ولو سئل منسيوس ما تردَّد في وصف الحرب العدوانية بمثل ذلك الوصف

لكن من البشر طوائف لا تكاد تعرف الاعتداء حتى انها في غنًى عن شارع يشرع او وازع يزع . وصف مارسدن اهل سومطرة الاصليين بقولهِ انهم ” قوم ودعاء مسالمون طويلو الاناة “ وبعبارة اخرى انهم لا يعتدون على احد . وقبيلة طاروس الضاربة في بعض سفوح

حمالايا قبيلة مسالمة رقيقة الجانب اعتصمت بغيابات تلك المطارح السحيقة هربًا من اعتداء المعتدين . وقال مورجان في وصف قبيلة الاروكوى احدى قبائل هنود اميركا ووصف عصبتهم او اتحادهم الذي أُلفوهُ لمغالبة الزمان وطوارق الحدثان "فخرهم ان الغرض الاسمى من اتحادهم السلام واستئصال روح النزاع الدائم من الصدور تلك الروح التي آلت الى تلاشي الجنس الاحمر نفساً في نفس على مرّ العصور . ونتيجة ذلك الاتحاد ان الجنايات والجنح لا تكاد تعرف في نظامهم الاجتماعي حتى انهُ لا يكاد يكون عندهم قانون للجنايات"

والحقيقة التي يهمنا تقريرها هنا انهُ اذا ساد الخصام في جماعة حينًا من الدهر حتى صار الاعتداء عادة انقضى الامر بموافقة الجماعة عليهِ وربما صار واجبًا دينيًّا لان في النفس ميلاً فطريًّا اليهِ سابقًا للعاطفة الادبية . وبالضد من ذلك الامثلة المذكورة اخيرًا فان فيها ما يدلُّ على كره الاعتداء ومقاومتهِ وسبب ذلك الكره العاطفة الادبية . خذ العبرانيين مثلاً فانهُ بعد ان قطع سبيهم اسباب الشحناء المستعصية التي كانت تملأُ صدورهم وهم في حالة البداوة وبعد ان انتهت حروبهم وفتوحهم التالية بزمان ساد فيهِ السلام — ظهرت عواطف الغيرية في كتاباتهم وقوانينهم ظهورًا بينًا حتى انك لترى في سفر اللاويين تقرير مبدإٍ يعد مسيحيًّا محضًا وهو "حُبَّ قريبك كفسك" وكان المراد بالقريب الفرد من جماعة الاسرائيليين لا غير على ما يظهر . ثم اتسعت عاطفة التواد بينهم قبل التاريخ المسيحي حتى شملت الاعداء فلما جاء المسيح كانت تلك العاطفة قد ارتقعت الى حدٍ ان اوصى بتحويل الخد للاَّطم (لكي لا يقاوم الشر بالشر)

⁂

والنتيجة العمومية من كل ما تقدم هي انهُ كلما عظمت العداوات بين القبائل والامم وطال زمانها سادت التصورات والعواطف العدائية واحتكت بالتصورات والعواطف الحبية التي من متعلقات عيشتها الداخلية فتصدُّ الاولى الثانية وتمتلئُ صدور الافراد حقدًا وميلاً الى الاعتداء بعضهم على بعض

واصناف القتل التي تقدم ذكرها آنفًا مثل قتل الاطفال وتضحية البالغين اما لاكلهم بين القبائل التي تأكل لحوم البشر واما اكرامًا للاموات واما اكرامًا للآلهة — كلها من مزايا الامم التي اعتادت الحروب . واذا انتقلنا من مزايا هذه القبائل المتناهية من الجهة الواحدة الى مزايا القبائل التي دونها تناهيًا وتطرفًا وفوقها في سلم الارتقاء رأَينا انهُ كلما قلَّ الاعتداء الخارجي قلَّ الاعتداء الداخلي ايضًا . ففي عصر المرويين سكان فرنسا القدماء اي في نحو القرن

الرابع والخامس من التاريخ المسيحي كانت الحروب كثيرة حتى ان المدينة الواحدة كانت تشهر الحرب على اختها فكان الاعتداء كثيرًا ايضًا بين الافراد — الملوك يقتلون الملكات وولاة العهد يقتلون آباءهم والاخوة اخوتهم وكان الناس على دين ملوكهم من هذا القبيل ٠ وفي العصر التالي عصر شارلمان كانت فظائع الحروب كبيرة فان شارلمان قطع رؤُوس ٤٠٠٠ نفس من السكسونيين في يوم واحد وامر بقتل كل من لم يتنصر وكل من اكل لحمًا ايام الصوم الكبير٠ وهذا كان شأن العصر التالي المسمَّى بعصر الفرسان او عصر الاقطاعات . ثم لما اخذت الممالك تتحد على مرّ القرون والحروب تنحصر في دوائر محدودة والمعايش من صناعة وزراعة وتجارة تتسع دوائرها فتتسع دوائر المعاملات بين الامم المختلفة اخذ الناس يمقتون ما كان من ضروب الاعتداء فاضحًا واضح الخطاء ويصوّبون كل عمل تراعى فيه حقوق الغير وتحترم عواطفهُ ٠ ومع ان العصور الحديثة شاهدت حروبًا كبيرة فظيعة الاَّ ان الاميال السلمية اكثر ظهورًا فيها مما كانت عليهِ قبلاً لان الاعمال الحربية اقلُّ انتشارًا . ثم ان معاملة الافراد بعضهم لبعض معاملة بربرية وحشية زادت بزيادة الاميال الحربية وقلّت بانقطاعها في كل زمان ومكان فتغير المقياس الادبي بموجب ذلك

العلم في ربع قرن

تابع ما قبلهُ

لقد ثبت الآن ان اشعة الراديوم موجودة دائمًا في الهواء الجوي وهي كثيرة في هواء الكهوف وفي المياهِ التي تخرج من باطن الارض وان مواد كثيرة تشع اشعة مثل اشعة الراديوم ومن هذا القبيل القصدير والزجاج والفضة والتوتيا والرصاص والنحاس والبلاتين والاليومينوم ولا يعلم هل ذلك ناتج عن وجود دقائق لطيفة جدًّا منتشرة من عنصر قوي الاشعاع او ان هذا الاشعاع خاصة من خواص كل العناصر التي يظهر فيها

والمسأَلة الكبرى التي يتجه الذهن اليها تدور على ماهيَّة هذه الاشعة او القوَّة المشعَّة فما هو بناءُ دقائق الراديوم والعناصر التي تشبههُ لاسيما وان قوةً تصدر منها على الدوام ومادتها تتغير تغيرًا مستمرًّا ولو كان قليلاً جدًّا ويتولَّد منها عناصر جديدة

وليس من شأني الخوض في هذا الموضوع لايضاح غوامضهِ فان لهُ اربابهُ علماءَ الطبيعة الذين جمعوا بين قوَّتي التصوُّر الشديد والعلم الرياضي الدقيق ولهم مهارة في التجارب العمليَّة

تذهل الناظر اليهم وتدهش كل من يقف على نتائج اعمالهم · وهم مثل كلفن وكلارك مكسول وكروكس وريلي وطمسن

وقد ابان بكرل في اول مباحثهِ ان بعض اشعة الراديوم ينحرف اذا مرَّ بين قطبي مغنطيس كهربائي قوي · ونتج من ذلك ان قسمت اشعَّة الراديوم الى ثلاثة اقسام لانها ثلاثة انواع النوع الواحد ينحرف قليلاً وقوتهُ على نفوذ الاجسام ضعيفة · والثاني ينحرف بسهولة وانحرافهُ الى الجهة المخالفة لانحراف النوع الاول · والنوع الثالث لا ينحرف ابدًا مهما كان المغنطيس قويًّا · وقوة نفوذهِ للاجسام شديدة جدًّا فينفذ لوحًا من الحديد سمكهُ قدم ويؤَثر في الواح التصوير الفوتوغرافي · وسمي النوع الاول الفا والثاني بيتا والثالث غمًّا من حروف الهجاء اليونانية الأُول

ثم ثبت ان اشعة الالفا مجارٍ دقائقها صغيرة جدًّا مكهربة بالكهربائية السلبية مثل المجاري التي تتولَّد من لهب الغاز والمعادن المحماة الى درجة الحمرة · وجرم كل دقيقة منها مضاعف جرم الدقيقة من الهيدروجين وسرعة سيرها تعادل ٢٠٠٠٠ ميل في الثانية من الزمان اي انها اسرع من رصاص البنادق اربعين الف مرة · وحرارة الراديوم ناتجة من مصادمة هذه الدقائق للاجسام التي تقع عليها

واشعة البيتا مجارٍ من الدقائق مشابهة للمجاري السلبية في انبوب مفرَغ وهي مملوءة بالكهربائية السلبية وتسير بسرعة ١٠٠٠٠٠ ميل في الثانية وحجمها اصغر من حجم دقائق الالفا ويعادل جزءًا من الف جزءٍ من حجم دقيقة الهيدروجين · واليها ينسب ما في اشعة الراديوم من النور والتأْثير في الواح الفوتوغراف

واشعَّة الغما مثل اشعة رنتجن والمرجح انها ليست مؤَلفة من دقائق بل هي حركات او امواج في الاثير تحدث وقت سير الدقائق التي تتأَلف منها اشعة البيتا وتأْثيرها مثل تأْثير اشعة البيتا ولكنها اشد نفوذًا منها

وهذه الاكتشافات قد قادت علماء الطبيعة الآن الى نتائج مدهشة من حيث الجوهر الكيماوي الذي كنا نقول انهُ هو الجزء الذي لا يتجزأُ ولكن هذه النتائج لا تنقض معارفنا القديمة بل توسعها وتنوعها وتطلعنا على تركيب الجواهر التي كنا نظن انها بسيطة خالية من كل تركيب فاذا هي مركبة مثل غيرها من الاجسام ولم يكن العلماء قاطعين بانها بسيطة ولكنهم كانوا يجهلون تركيبها فعرفوهُ الآن

واعيد الآن ما قلتهُ سابقاً وهو اني لا استطيع ان اصف خواص الراديوم بالتفصيل والتوضيح الكافي ولا الوقت يسع ذلك ولكن العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع البحث الكافي استخلصوا من بحثهم علماً ينطبق على كل ما يرى من خواص الاجسام المشعة

ويتصل بالمباحث التي جرت في الخمس والعشرين سنة الماضية عن حقيقة الجواهر وتحولها من نوع الى آخر المباحث الكبيرة الدقيقة التي قام بها السر نورمن لكيَر من حيث بناءِ الاجرام السموية وتكوُّن العناصر الكيماوية وواظب عليها هذه السنين الكثيرة بهمة لا تعرف الملل

التلغراف اللاسلكي — ان ما تمَّ من الاساليب في استخدام الكهربائية مدة السنين الاخيرة قد بلغ درجة فائقة من النفع . ومن مزايا هذه المدة ان كشفت فيها تموجات هرتز واستخدمت في التلغراف الذي لا سلك لهُ ولا يبرح من الاذهان ان الناس عرفوا منذ مئات من السنين ان الكهربائية تنتقل من مكان الى آخر من غير موصل لكن انتقالها على هذه الصورة الوفاً من الاميال لا يؤيد زعم الذين يزعمون بانتقال القوى العقلية من مكان الى آخر لانهُ لم يكشف في جسم الانسان حتى الآن آلة ترسل الاشارات وآلة تستقبلها واشارات مصطلح عليها

البرد الشديد والحر الشديد — اتقنت في الخمس والعشرين سنة الماضية وسائط توليد الحرارة الشديدة والبرد الشديد فتمكن السر جمسن دوَر من تسييل الهيدروجين

والمرجح ان التبريد بلغ الآن الدرجة القصوى · واستخدم البرد الشديد في كثير من المباحث العلمية · وكذلك استعملت الحرارة الشديدة في مباحث اخرى ولاسيما في يد داڤيل ومواسان

تقدُّم الكيمياء — حُقق في هذه المدة الناموس الدوري الذي اكتشفهُ منديليف والبحث عن وضع الدقائق والجواهر في المركبات الكيماوية المختلفة بواسطة الفواعل الطبيعيَّة كالنور والكهربائية . وتقدَّم علم الكيمياء بنوعٍ خاص في البحث عن النسبة التي تتركب فيها العناصر بعضها مع بعض وفي تركيب مركبات جديدة فركَّب الكيماويون الوفاً منها ومن اشهرها واكبرها نفعاً النيل الصناعي والفضل في عملهِ لفون بير وهومن

الفلك — ان البيولوجي مثلي لا يسعهُ ان يتكلم من نفسهِ عن هذا العلم الذي هو اقدم العلوم واسماها ولذلك استعنت بصديقي استاذ الفلك في مدرسة اكسفرد فوجه افكاري الى ما يحسن ذكرهُ في هذا المقام · ولا شبهة ان استنباط الواح التصوير الجافَّة سهَّل استخدام

الفوتوغرافيا في الارصاد الفلكية لانهُ صار يمكن تعريضها زمانًا طويلاً فصوَّر الفلكيون بها ما هو ضعيف النور كالسديم وطيوف النجوم · وعدد النجوم التي تراها العين نحو ثمانية آلاف والتي ترى باقوى تلسكوب صُنع حتى الآن مئة مليون نجم لكن الواح التصوير اوصلتها الى الف مليون نجم · وقد تمَّ ذلك في الخمس والعشرين سنة الماضية · وفيها امكن تخطيط السماء فاشار بهِ مؤتمر باريس سنة ١٨٨٧ وقسم وجه السماء بين ١٨ مرصداً حتى يصور كل مرصد منها قسمًا منهُ · ولم يشارك الاستاذ بكرنج غيرهُ بل استنبط اسلوبًا لتخطيط السماء بسرعة تخططها كلها مرارًا في مرصد مدرسة هارڤرد الجامعة فاذا ظهر نجم جديد فيها منذ اثنتي عشرة سنة الى الآن عرف تاريخ ظهورهِ بالتدقيق بالنظر الى الصور الفوتوغرافية التي صوّر بها وجه السماء · وهذا الاسلوب من ابدع الاساليب وهو ادق تاريخ لكواكب السماء وحركاتها وسيكون منهُ فائدة كبيرة لعلم الفلك · وقد اكتشف بهِ حتى الآن مئات من النجوم الجديدة المتغيرة . واكتشفت مئات من النجيمات الجديدة فقد كان عدد النجيمات سنة ١٨٨١ مئتين وعشرين نجيمة وكشف تلك السنة نجيمة واحدة فقط والآن يكشف عشرون نجيمة على الاقل كل سنة وصار عدد المكشوف منها اكثر من ٥٠٠ نجيمة · ومن هذه النجيمات السيار اروس (عدد ٤٣٣) وهو يمتاز على غيرهِ بانهُ اقرب الى الشمس من المريخ فيسهل بهِ التدقيق في معرفة بعد الشمس عن الارض · وكشف قمران جديدان لزحل وقمران للمشتري واحد القمرين الجديدين من اقمار زحل يدور في الجهة المخالفة وذلك يدعو الى تغيير آرائنا في النظام الشمسي

وزادت فائدة البحث السبكتروسكوبي بواسطة التصوير الشمسي في علم الفلك فصورت طيوف النجوم وقسمت الى مراتب وصار يمكن قياس الحركة في خط البصر بالتدقيق التام وهي من ادق الاساليب لمعرفة ابعاد النجوم واقدارها فتعلم بها السرعة بالاميال · وقد كانت هذه الحركة سنة ١٨٨١ من قبيل الغرائب التي لم يبحث فيها الاَّ هجنس · ثم لما استخدم فوجل الفوتوغرافيا فيها سنة ١٨٨٧ صارت من الاساليب العملية الدقيقة

وكان للفوتوغرافيا شأن كبير في البحث عن الشمس فغيَّرت المباحث القديمة كلها وصار يسهل على الفلكي الآن ان يدرس كل بقعة من الشمس على حدتها · وقد انفق الاميركيون اموالاً طائلة على عمل آلات الرصد الكبيرة

وسنة ١٨٧٧ ابان سلفي في رئاسة هذا المجمع (السرجورج دارون) طريقة رياضية للبحث اتت بنتائج كبيرة في علم الفلك · وقد قُدمت رسالتان الى الجمعية الفلكية الملكية في

شهر ابريل الماضي بنيئا على طريقة السرجورج دارون المشار اليها وقد جاء في الرسالة الاولى ان الايام تزيد طولاً عشرة اضعاف ما كان يظن وفي الرسالة الثانية ان السيارات كلها قد انقلبت من اعلى الى اسفل منذ تكونها الى الآن

ومع كل هذا التقدُّم يدعي المسيو برونتير وانصارهُ ان العلم قد افلس ولم يبقَ فيهِ شيءٌ جديد يستحق الاكتشاف

الجيولوجيا — كان اهم ما في البحث الجيولوجي في الخمس والعشرين سنة الماضية ازدياد الاقتناع بان الحوادث الجيولوجية جرت بموجب ما يقتضيهِ ناموس النشوء لا بموجب قواعد مقررة واعظم كتاب نشر في هذه المدة كتاب سيوس وقد صدر المجلد الاول منهُ سنة ١٨٨٥ وللحال سمي بالجيولوجيا الجديدة فان سيوس حاول استقصاء كل التغيرات الجوهرية التي حدثت في قشرة الارض من حين اخذت تتكوَّن · ومن النتائج الخاصَّة التي وصل اليها الجيولوجيون في هذه المدة الآراء الجديدة المتعلقة بتكون الصخور المتبلورة والحقائق التي علمت عن كيفية رسوب المواد في قعر البحر على ما بان من تقارير العلماء الذين كانوا في سفينة التشالنجر · وازدياد استقصاء الاقسام الصغيرة المسماة مناطق وهي من اقسام طبقات الارض ورد الآثار الحيوانية الى ابعد من العصر الذي كان يظن انها ظهرت فيهِ واكتشاف آثار الحيوانات الشعاعية في اقدم الصخور التي وجدت فيها آثار الحيوان (الصخور البليوزوية) · وشوهدت الحجارة التي اثَّرت فيها انهر الجليد في استراليا وجنوبي افريقية من العصر الذي قبل العصر الكربوني فثبت رأي بلانفورد القائل بوجود حجارة مثلها في الهند · وترك الايوزون اذ ثبت انهُ من نتاج كائن حي وثبت ان اقدم آثار الاحياء التي وجدت في الطبقات الارضية لا تدلُّ على بداءة وجود الحياة لان هذه الآثار تدلُّ على ان الاحياء التي هي منها فيها حيوانات عالية التركيب . اما الصخور القديمة التي اصلها مائي فلم يوجد فيها حتى الآن شيءٌ من آثار الحيوانات والنباتات التي كانت في البحر حيث رسبت تلك الصخور · ووصل الاستاذ سولاس في ثقب صخور المرجان الى عمق ١١١٤ ١/٢ قدم وعرف اموراً كثيرة جزيلة الاهميَّة للجيولوجيين

علم بناء الحيوان والنبات (مورنولوجيا) — اذا حاولتُ وصف الحيوانات والنباتات التي كشفت منذ سنة ١٨٨١ وجب عليَّ ان اتلو على مسامعكم جدولاً طويلاً لا لذة فيهِ لان الوقت لا يسعني لاصف كل فرد منها · ولقد اشتغل المكتشفون في كل انحاء الارض في اواسط افريقية وفي انحاء القطب الجنوبي واقاصي الصين وبتغونيا واستراليا وفي اعماق البحر

وبواطن الكهوف ورؤُوس الجبال وفي البحيرات والانهار الكبيرة · وقد عرفنا كثيرًا من توزُّع الاحياء وكشفت اشكال جديدة منها وبُحث في الامثلة التي ارسلت الينا من اماكن بعيدة بحثًا تشريحيًا ومكروسكوبيًا · ومما اراهُ حريًّا بالذكر اكتشاف بيض الخلد البطي الاسترالي والسمك الهلامي في المياه العذبة في رجنت بارك والبحيرات الافريقية ونهر دلوار والخلد الكيسي الاسترالي والاوكابي وصغار سمك الطين وكبارهِ في استراليا وافريقية واميركا الجنوبية · وسمك النيل والكنغو والدود الارضي ذي الخياشيم واسماك قاع البحر الغريبة والاسفنج والبلابيس

والنتيجة الكبرى من اكثر هذه المباحث هي معرفة الاصول التي تولَّدت منها هذه الاحياء · وقد ارتأى البعض آراء مختلفة من جهة اتصال الحيوانات ذوات الفقار بغيرها من انواع الحيوان لكن اكثر علماء الحيوان على انهُ لا اتصال بين الحيوانات العليا من ذوات الفقار وغيرها من الانواع الاخرى اكثر من الاتصال بين السمك النجمي والمحار والحشرات فان كل هذه متصلة بعضها ببعض وبذوات الفقار ولكن ليس في اسلافها القريبة بل في اسلاف بعيدة جدًّا

والرأْي الشائع الآن في اصل اليدين والرجلين في ذوات الفقار هو الرأْي المنسوب الى ثشر وميڤارت وبلفور وهو انها مشتقة من الزعانف في حيوان يشبه السمك (اي ان اصل الحيوانات ذوات الفقار حيوان يشبه السمك لهُ زعانف مثلهُ ثم صارت زعانفهُ يدين ورجلين كما ترى في تخلق الضفدع من الدعاميص)

ومن المكتشفات الغريبة ان الحيوانات المؤلفة من حويصلة واحدة تولد جراثيم التذكير كالحيوانات الكثيرة الحويصلات

واكتشف اكتشاف مثل هذا في النبات فان اللقاح في النباتات ذوات الزهر يختلف عن اللقاح في النباتات التي لا زهر لها كالطحالب والاشنان لان لقاح هذه النباتات مثل لقاح الحيوانات المائية يخرج منها ويسبح في الماء ويلقح البيوض الحويصليَّة · ولكن عالمَين من علماء اليابان وهما هيراسي وايكنو ادهشا علماء النبات منذ خمس عشرة سنة باكتشافهما شجرتين يتولد منهما لقاح يجري مثل لقاح النباتات ذوات الازهار والنباتات التي لا ازهار لها لان لقاحهما يسبح في كاس يتجمع فيها ماء ويصل الى البويضات سابحًا فيهِ فهاتان الشجرتان هما الحلقة الموصلة بين النباتات ذوات الازهار والنباتات التي لا ازهار لها من حيث حركة اللقاح ووصولهُ الى البيوض · لانهما من ذوات الازهار ولكن لقاحهما يسبح في الماء كلقاح النباتات التي

لا ازهار لها . فزال الفاصل المميز الذي كان بين هذين الجنسين من النبات

وقد كشفت آثار اجناس من الحيوانات ذوات الثدي لم تكن معروفة قبلاً واستقصيت آثارها في كل طبقات العصر الثلاثي في اميركا الشمالية وثبت اتصالها بعضها ببعض ووجد في الطبقات الاقدم منها آثار اجناس من الحيوانات الكبيرة المنقرضة

واهم مكتشفات هذه المدة اكتشاف آثار حيوانات من ذوات الثدي في الفيوم اكتشفها الدكتور اندروس ورسمها ووصفها وهي تشتمل على حيوان لهُ اربعة قرون يبلغ الكركدن حجماً ولكن لهُ اوصافاً خاصة بهِ وعلى الحيوانات اسلاف الافيال وهي من نوع كان كثيرًا في اوربا واسيا في عصر الميوسين والبليوسين وبعد ذلك في اميركا ويمثلهُ الآن الفيل الهندي والفيل الافريقي . وكان لفيل من الافيال الاوربية المنقرضة فك اسفل طويل جدًّا ينتهي باسنان كبيرة ازميلية . وقد ارتأَيت ان خرطوم الفيل تولَّد من الاجزاء الرخوة في فكهِ الاعلى بعد ان كان مستقرًّا على فكهِ الاسفل فقصر الفك الاسفل بالانتخاب الطبيعي والتحوُّل فصار قصيرًا كما هو الآن وتدلَّت الشفة العليا فتكوَّن الخرطوم منها . وقد وصف الدكتور اندروس حيوانين مما وجدهُ في الفيوم لاحدهما فك طويل قوي ووجه طويل واسنان كثيرة والآخر رأْسهُ مثل رأْس فرس النهر ونابا‌هُ قصيران واسنانهُ تشبه اسنان الفيل ولا شبهة ان هذين الحيوانين حلقتان من الحلقات التي مرَّ عليها الفيل في تسلسلهِ بعد ان كان حيوانًا معتدل الحجم في شكل الخنزير لا خرطوم لهُ ولا انياب . ووجدت هناك آثار حيوانات اخرى تدل على ان الفُقم تولد هناك كما تولَّد الفيل ومنها حيوان يشبه الوبر السوري وغيرهُ من ذوات الثدي والزحَّافات

ومن الاماكن التي كشف فيها كثير من المتحجرات الحيوانية جنوبي ارجنتينا وبتاغونيا حيث كشفت آثار حيوانات كثيرة منقرضة من آكلة النمل والارمديل والكسلان الفخم والافيال الغريبة الاشكال يمتدُّ تاريخها الى الدور الثلاثي ومن اهم ما كشف هناك آثارٌ تدل على ان تلك البلاد كانت متصلة باستراليا لانهُ وجدت فيها بقايا السلحفاة ذات القرون التي وجدت بقاياها في استراليا دون سواها

(وتوسَّع الخطيب في مكتشفات علم البيولوجيا لانهُ العلم الذي يشتغل بهِ بنوع خاص وربما عدنا الى تلخيص كلامهِ فيهِ في فرصة اخرى)

فلسفة اليونان في عهد الرومان

تمهيد

كان لعلوم اليونان وفلسفتهم تأْثير عظيم في العالم اليوناني قبل التاريخ المسيحي فلم يكن النفوذ الروماني في عهد اغسطس قيصر باوسع نطاقًا وارفع رواقًا من العلوم اليونانية . وقد بلغت الفضيلة الرومانية اوجها في تعليم زينون الرواقي وانتشرت الرذيلة الرومانية كل الانتشار في ظلال تعليم ابيكوروس . وهاتان الفلسفتان شغلتا مكانًا واسعًا من تاريخ البشر الادبي . لكنهما لم تبلغا قطُّ ما بلغتاهُ في صدر التاريخ المسيحي من اتساع نطاق النفوذ والاخذ بمجامع العقول لان زعماءَهما واتباعهما تقاسموا كل فلسفة العالم وحكمتهِ وانبثوا في اطراف المعمور ينشرون تعاليمهما بين الجمهور

الفلسفة الرواقية

وضع هذه الفلسفة الفيلسوف زينون اليوناني الذي وُلد في قبرس سنة ٣٥٠ ق٠م٠ وقد روي عنهُ انهُ مال في صباهُ الى التجارة فاشترى مرة بضائع وارسلها في مركب الى احدى مدن فينيقية فهبَّت على المركب ريحٌ شديدةٌ اغرقتهُ وقضت على زينون بتحمل خسارة لا مزيد عليها . وكان ذلك آخر عهدهِ بالتجارة لانهُ لم يلبث ان انقطع عنها وبرح وطنهُ شاخصًا الى اثينا حيث عثر في احدى مكاتبها على كتابات زينوفون وسقراط فألَمَّ منهما بمبادىء الفلسفة وتوسع فيها بما اخذهُ عن كراتس وزينوكراتس حتى اذا رسخت قدمهُ فيها ونال بغيتهُ من التضلع منها أنشأَ في عاصمة بلاد الفلاسفة مدرسة طارت شهرتها في البلاد وتقاطر اليها الطلاَّب من كل صقع وادٍ . ويقال ان بطليموس فيلادلفوس ملك مصر كان يأْمر سفراءَهُ في اثينا ان يحضروا مدرسة زينون وينقلوا اليهِ ما يأْخذونهُ عنهُ ويتعلمونهُ منهُ

ومما جاءَ عن هذا الفيلسوف انهُ ظلَّ منقطعًا للتدريس في هذه المدرسة نحو خمسين سنة ومات شيخًا كبيرًا معروفًا بحسن السيرة وشدة العزم والاقدام . ومخلفًا آثارًا ادبية تحيي ذكرهُ مدى السنين والاعوام

وعُرِفت فلسفتهُ بالرواقية نسبة الى الرواق الذي اسس فيهِ مدرستهُ . وانتظم في سلكها ارفع رجال العالم الوثني فكرًا واسماهم مبدأً في اواخر الجمهورية الرومانية واوائل حكومتها الملكية

ومن معتقدات الرواقيين ان الانسان انما يمتاز بالفضيلة . وان اللاهوت روحٌ عامٌّ يحيي الكون كلهُ وان جميع البشر اعضاءُ جسدٍ واحدٍ مشتركون في روحٍ الهيٍّ واحد

ولما استفحلت الرذيلة نهضت هذه الفلسفة للذود عن حرمة الفضيلة وتأهبت للجهاد في سبيلها حاتمةً بلزوم مبايعة الفضيلة والواجب ليحكما على افكار الناس ويسوسا اميال البشر من غير ان يكون لتوقُّع الثواب دخلٌ في الحكم والنفوذ . ولم تأذن قطُّ لاعتقاد الخلود في ان يكون باعثاً او محركاً على العمل . واليك بعض مبادئها : —

“ استودع نفسك القدر مسروراً ودعهُ يستخدمك مقدمةً لاية نتيجة ارادها ”

“ كن كرأسٍ في البحر تتلاطم عليهِ الامواج بلا انقطاع وهو قائمٌ على قدم الرسوخ والثبات يسكّن عجيج الامواج ويكبح جماح التيَّارات ”

سر على الدوام في اخصر طريق . فالطريق القصرى هي الطريق الطبيعية الفضلى . واتَّقِ اليأس بدرع الامل والزم الامانة والاخلاص في كل قول وعمل ”

“ كل ما هو جميلٌ فهو جميلٌ لذاتهِ وفي ذاتهِ ينتهي جمالهُ وليس للمدح يدٌ في تكوين شيءٍ منهُ ”

“ من يتعمد نشر فضيلتهِ فهو غير عامل للفضيلة بل للشهرة ”

“ يظلُّ الرجل العظيم عظيماً ولو عاندتهُ الاقدار ولصق من شدة ذلهِ بالتراب ”

“ كل من لم يتعلم وجوب اجتناب الرذيلة ولو كانت محجوبةً عن عيون الآلهة والناس فهو ليس على شيءٍ من الفلسفة الحقيقية . واحرى الاعمال بالمدح عملٌ يعمل لغير قصد المباهاة وتقصّر عيون البشر عن ملاحظتهِ ”

الفلسفة الابيكورية

وضع هذه الفلسفة ابيكوروس او ابيقوروس (ويقال لهُ ابيكور او ابيقور) احد مشاهير حكماء اليونان الذي يُظَنُّ انهُ ولد في جزيرة ساموس في اواسط القرن الرابع قبل المسيح. طلب الفلسفة في حداثتهِ فدرس العلوم في وطنهِ وشخص الى اثينا مهبط الحكمة والفلسفة فاخذ ما شاء من دروس الحكمة عن بفيليوس وغيرهِ ثم انشأ مدرسة تسابق اليها الطلاب من كل جانب

وقد قسم فلسفتهُ الى ثلثة اقسام قانونية وطبيعية وادبية . فالقانونية مرجع الحكم وقوامهُ وفيها قاعدة تعصم من الخطإ وهي : كل ما اثبتتهُ الحواس فهو حقيقي

وكان فحوى فلسفتهِ الطبيعية ان كل ما في الكون من معبودات ومخلوقات انما وجد بعلةٍ واحدةٍ هي اتحاد الجواهر الفردة فلا شيءَ من العدم ولا شيءَ الى العدم . واختلاف صور الاشياء ناتج عن حركة الجواهر وعدم ثباتها على حالةٍ ونتيجتها ان ليس لهذا الكون الهٌ يدبر امورهُ ويدير شؤُونهُ وان العالم كلهُ من عمل الصدفة وان السرمدية والحكمة منفيتان الاَّ من

الجواهر الفردة . ومن مقتضاها ان الالهيات ادنى رتبة من الطبيعيات وان المعبودات او الآلهة لا تشغل كل مكانٍ تشغلهُ الجواهر وهي دون الجواهر في الاهمية لانها لم توجد الجواهر بل الجواهر اوجدتها على الصورة والمثال اللذين اوجدت فيهما البشر . وقد قال فيها لقريطوس احد مشاهير اتباع ابيكوروس ما تعريبهُ : —

يعيش باوفى الأَمن آلهة العلى بعيدين عنا ما لهم بالورى خبرْ
وكلٌّ الهٍ مستقلٌّ بنفسهِ وغير مبالٍ مطلقاً ببني البشرْ

على انهُ قال في كتابٍ لهُ ان الآلهة ليسوا سوى مختلقات الوهم والخوف

اما فحوى فلسفة ابيكوروس الادبية فهو النفي الصريح لوحدة الذات الالهية وقدرتها وحكمتها وعدلها وعندهُ ان النواميس الادبية والطبيعية ليست من الله . وان الانسان وجد اتفاقاً كما ينبت الفطر على الدمن فاذا مات كان موتهُ مؤبداً لا حشر بعدهُ ولا دينونة . فليس للطالحين ان يهابوا عقاباً ولا للصالحين ان يرجوا ثواباً

واساس هذه الفلسفة التعليم بان السعادة الزمنية هي الخير الاعظم وان غاية كل فلسفة اسعاد الناس واعانتهم على تحصيل السعادة فهي اذاً ضد الفلسفة الرواقية على خطٍّ مستقيم

ومع ذلك اعتنقها كثيرون وتذرَّعوا بها الى الاعتذار عما ارتكبوهُ من المنكرات وحللوهُ من المحرمات . والذين يحاولون المحاماة عنها من اتهامها بكونها رذيلةً يقولون ان واضعها كان رجلاً بلا عيب وان تعليمهُ كان ضد محبة الشهوات وان العمل بموجب مبادئهِ ينيل الانسان اسمى الفضائل . ولكن هب ان ذلك كذلك فليس كل انسانٍ قادراً على التمييز التام بين انواع التسالي المختلفة وعلى ادراك اسباب السعادة الحقيقية . لان الراحة والفرح والشهوة الفاظ مرادفة للسعادة في مذهب اكثر الناس . فمن يعتنق الابيكورية يَدِن في الغالب للترف والرخاء ويستسلم للشهوة والرذيلة

هذا ومما يؤَيد القول عن انكار هذه الفلسفة للخلود او الوجود بعد الموت مكتوبات اتباعها وما تركوهُ من النقوش على ضرائح القبور وغيرها . فمن امثلة ما كتبوهُ على الضرائح "عشتُ ولم أُؤمن بشيءٍ وراء القبر" . "نحن المضطجعين هنا في قبضة الموت لسنا سوى عظام بالية ورماد" . "لم اكن فكنت . وُجدتُ والآن لم أَعد موجوداً . هذا الصحيح ومن يقل غير ذلك فهو كاذبٌ" . "لم اكن شيئاً ولستُ شيئاً . فكُلْ ايها الحيُّ واشرب وافرح وتعالِ" "حييتُ مرةً والآن انقضت حياتي فلا اعلم عنها شيئاً وهذا لا يهمني" . "يامن يقرأُ ما كتب على ضريحي افرح في حياتك لانهُ ليس بعد الموت من فرح ولا سرور"

اسعد داغر

المناعة في السلّ

من خطبة للدكتور سيمون فلكسر من اعضاء مجمع ركفلر الطبي في مدينة نيويورك

ابتدأ علم التدرُّن قبل اكتشافات كوخ الشهيرة وافتتح بنقل الداء من حيوان الى حيوان بطريقة التلقيح . فانهُ مهما تكن الآراء في عدوى هذا الداء وقوتهِ على الانتقال من حيوان الى حيوان قبل تجربة التلقيح فلم يكن ثمة غنًى عن هذه التجربة لاثبات العدوى قبل الشروع في بيان سبب الداء ومنعهِ . وقد نسب كوخ في رسالتهِ التي كتبها بهذا الصدد الفضلَ في نجاح التلقيح الى الدكتور كلنكي فانهُ تمكن سنة ١٨٤٣ من تكوين التدرُّن في رئات الارانب واكبادها بتلقيحها بمادة التدرُّن المأخوذة من انسان مصاب بالسل . الى هذا الحدِّ وصل كلنكي ثم انقطع عن البحث فنسبي ما عملهُ . وفي تلك الاثناء كان ڤلمن قد شرع في عمل تجاربهِ وما زال يكرّرها حتى اتمها على ما يرام . ولم يقتصر على التلقيح بمادة السل البشري بل جعل يلقح بمادة السل البقريّ ايضاً فأبان بالتجربة على ما يظهر ان سلّ البشر وسلّ البقر واحد وان السلّ داءٌ معدٍ

اما الباحثون الذين تلوا ڤلمن وجروا على تجاربهِ فوصلوا الى نتائج تناقض النتيجة التي وصل اليها كلّ التناقض . وقام المخالفون لمذهب عدوى السلّ يحاولون ان يثبتوا انهُ يمكن احداث درن السلِّ الحقيقي بالتلقيح بمواد ليست درنيَّة . فاختار اثنان منهم مقدَّم عين الارنب لاجراء تجارب التلقيح فيها ومزية هذه الطريقة على سائر الطرق انهما كانا يستطيعان بها مراقبة الاطوار المختلفة التي يتقلّب التلقيح عليها ويتدرّج فيها حتى يبلغ الطور الذي يصاب عندهُ جسم الارنب كلهُ بالتدرن بما فيهِ من الغدد اللمفاوية المجاورة للعين والرئتين والطحال والكبد والكليتين . ومن مزايا هذه الطريقة انهُ لم يقل احد بانهُ رأى السلّ يتولَّد ابتداءً في عين الارنب بلا تلقيح

واول من اكتشف مكروب السلّ في الاعضاء المتدرنة الدكتور كوخ وذلك سنة ١٨٨٢ اي بعد تجارب العالمين المذكورين بنحو ٢٠ سنة . فانهُ ابتكر اولاً طريقة لتلوين الميكروبات تساعدهُ على بلوغ غايتهِ ثم استعمل طريقة خاصَّة بهِ لتربية المكروب تربية صناعيَّة في مستنبت خالصٍ من كلّ شائبة . ثم جعل يلقح بهِ بعض الحيوانات الاهلية فظفر باحداث جميع خصائص السلّ الانساني واعراضهِ فيها . واقتنع من المباحث التي بحثها في تلك المدة ان السبب واحد في جميع انواع السلّ التي تصيب الانسان والحيوانات الاهلية وادرك ان اشكال التدرن التي

تصيب انواع الحيوانات المختلفة واحدة في جوهرها بالرغم مما يرى من عظم تباينها ظاهرًا فلم يثبط ذلك التباين الظاهري عزيمتهُ ولا وجّهَ انتباههُ الى الداء الخارجي بل الى سببهِ فرآهُ تحت المكرسكوب واحدًا في اطوارهِ المختلفة في الانسان بحيث يتعين بهِ نوعهُ . ولكنهُ لم يميز بين مكروبات الدرن المستخرجة من الطيور والمواشي والناس وهذا لا يقدح في عظم قيمة اكتشافهِ لاسيما وانهُ كان يعلم تمام العلم انهُ لا يبعد ان يكون هناك فرق في طبيعة المستنبتات يتوقف على مصدرها ولو لم يميزهُ

ومعلوم ان كوخ كتب قائمة طويلة بالمستنبتات المختلفة وادرجها في رسالتهِ التي كتبها في السلّ ونشرها سنة ١٨٨٤ وقد قال عن تلك القائمة ما يأتي . " قد يعجب البعض من كثرة عدد المستنبتات التي استحضرتها على حين ان عددًا قليلاً منها يكفي لمراقبة المكروبات فيها . ولكن ترجح عندي انهُ وان لم يظهر فرق تحت المكرسكوب بين مكروبات التدرن المختلفة سواءٌ كانت من الذئب الأَكّال او من السل الرئوي او غيرها فلا يبعد ان يظهر ذلك الفرق بينها اذا وجدت في المستنبتات . ومع اني وجّهت اعظم الانتباه الى هذا الامر لم استطع اكتشاف فرق بينها بل رأَيتها كلها متشابهة في جميع حركاتها وسكناتها "

وقد زدنا علمًا بطبيعة مكروبات السلّ حتى صار عندنا عدة انواع مختلفة منها الآن وصار يمكن قسمتها الى ثلاثة انواع اصلية الاول النوع المختصّ بالبشر . والثاني المختصّ بالطيور والبقر . والثالث المختصّ بالحيوانات ذوات الدم البارد (كانواع السمك وسائر الحيوانات المائية) . وهذا النوع الثالث يختلف كلّ الاختلاف عن النوعين السابقين واختلافهُ عنهما يظهر من الامر الآتي وهو ان الحرارة العالية (اي التي تقرب من حرارة الدم الطبيعية) لازمة لنمو مكروبات النوعين الآخرين ولذلك يمتنع تكاثر تلك المكروبات في الاحوال العادية التي تكون خارج الجسم (من حرارة وهواءٍ) وعليهِ فهي لا تصلح للمعيشة خارج الجسم الحيّ الاَّ اذا ربّيت تربية صناعية حيث تلائمها الحرارة . وهذا الامر من الاهمية بمكان في الحرب القائمة بين الانسان والسلّ اذ بهِ يبيت آمنًا خطر تكاثر مكروبات السلّ خارج الجسم . اما مكروبات النوع الثالث فان الحرارة الواطئة التي تعيش وتنمو فيها تؤَهلها لعيشة مستقلة عن اجسام الحيوانات ذوات الدم البارد ولكن لما كانت لا تستطيع احداث الداء في الحيوانات ذوات الدم الحارّ وكانت قليلة الانتشار حتى بين الحيوانات ذوات الدم البارد فليس لها شأن يذكر

على ان المسأَلة التي لها الشان الاعظم هي ما اذا كان الفرق عظيمًا بين انواع مكروبات السلّ المختلفة التي تفتك بالحيوانات ذوات الدم الحار . وحلّ هذه المسأَلة عظيم الفائدة والعائدة

لما بين الانسان والحيوانات الاهلية من العلاقة الشديدة فان الانسان عرضة لأن يصاب بالامراض التي تصيب هذه الحيوانات لكثرة اعتمادهِ عليها في طعامهِ وعملهِ وسائر احوال معيشتهِ كما انها هي ايضاً عرضة لأن تصاب بالامراض التي تصيبهُ. فمن هذا تتضح اهمية السعي في حلّ هذه المسألة وهي حصر السلّ اما بمنع وصولهِ الى الانسان او بمعالجة جسم الانسان حتى لا يعود يصاب بهِ

فمما لا ريب فيهِ ان مكروبات سلّ الطيور تختلف كلّ الاختلاف عن مكروبات سلّ البشر وسلّ البقر . وقد ظهر من التجارب الكثيرة التي عملت لمعرفة درجة تأثر الطيور من التلقيح بمكروبات السلّ البشري ما يؤيد ذلك (اي اختلاف سلّ الطيور عن سلّ البشر في النوع) ويثبت ان تأثير التلقيح يختلف باختلاف نوع الطير الملقَّح ولو كان ذلك التأثير خفيفاً . وظهر ايضاً ان بعض انواع الحيوانات ذوات الثدي تتأثر تأثراً خفيفاً اذا لقحت بمكروبات سلّ الطيور . فخنزير غينيا مثلاً من اكثر الحيوانات تأثراً بلقاح السلّ الذي يصيب الحيوانات ذوات الثدي ولكنهُ لا يكاد يتأثر بلقاح سلِّ الطيور . والارنب لا تكاد تتأثر بلقاح سلّ البشر ولكنها شديدة التأثر بلقاح سلّ الطيور وفتكهُ بها ذريع . ولكن مما تجب الاشارة اليهِ ان اعراض الارنب الملقحة بلقاح سلّ الطيور تختلف عن اعراض التدرُّن المعروفة فلا يكون فيها درن ولا تجبن بل معظم ما يصيبها تضخُّم في الطحال

اما من حيث تأثر الانسان بسلّ الطيور فيكفي لغرضنا ان يقال ان الانسان لا يصاب بهِ الاَّ نادراً وقد صرَّح رابنوفتس حديثاً بان البقر والخنازير والخيل والسعادين قد تصاب بسلّ الطيور ولكن لا يخشى كثيراً من انتشارهِ بين الحيوانات ذوات الثدي . على ان الحيوان الذي يخشى منهُ كثيراً على الصحة العمومية هو الببغاء وذلك لانها تصاب بالسلَّين سل الطيور وسلِّ البشر

والبحث في سلّ البقر ومكروبهِ من اهمّ المواضيع المتعلقة بمنع السلّ . فقد اثبتت ابحاث ثيوبولد سمث ان بين بعض مكروبات السلّ البشري وبعض مكروبات السلّ البقري فرقاً في النوع حتى بتنا الآن نعدُّهما صنفين مختلفين لا يتحول احدهما الى الآخر بالتربية الصناعية . ولا يسعني الآن ان ابحث في مسألة طال الخلاف فيها وهي تغير الانواع بحسب الوسط المحيط بها وانما اقول انهُ لم يتمكن احد بالتجربة والامتحان من تحويل مكروبات سلّ الطيور والبقر والبشر بعضها الى بعض . فقد قالوا أن تربية نوع من المكروب في جسم حيوان غريب تغير خصائص ذلك النوع تغييراً عظيماً ولكن الادلة التي يقدمونها لاثبات هذا القول بعيدة عن

لاقناع . ويكفي لدحض التحوُّل المشار اليهِ ان مكروبات سلّ الطيور والبقر التي توجد في جسم حيوان غريب كالانسان مثلاً تبقى محافظة على خصائصها المعروفة وهي فيهِ

وقد اكدَّ ثيوبولد سمث ان من خواص مكروبات سل البقر ان الحيوانات ذوات الثدي اكثر تعرضاً لها منها لمكروبات سل البشر بوجه عمومي . وهذه الخاصة وغيرها من خواص مكروبات سل البقر مما يزيد الفرق بين النوعين . ويقال بالاختصار ان جميع اشكال السل التي تصيب الحيوانات ذوات الثدي اما ان تنشأ عن مكروبات سل البشر او سل البقر ما عدا الاشكال القليلة الشاذة التي ذكرت آنفاً

هذا ولما كان مكروب السل البقري اعظم تأْثيرًا في الحيوانات الثدوية الدنيا من مكروب السل البشري فيها وجب ان يكون مكروب سل البقر شديد التأْثير في الانسان ايضاً. ولا يخفى ان امتحان ذلك في الجسم الانساني رأْساً لا يمكن السماح بهِ ولكن الجمهور على ان سل البقر يضرُّ الانسان كما يظهر من القوانين الكثيرة التي يسنها الناس من يوم الى يوم ويحظرون بها اكل لحم البقرة المصابة او شرب لبنها. هذا كان اعتقاد الناس عموماً حتى قام كوخ وخطب خطبتهُ المشهورة سنة ١٩٠١ فولَّدت في عقول رجال الطب والصحة ريباً شديدًا في ما اذا كانت العدوى تنتقل من المواشي المسلولة الى الانسان. ولكن الابحاث التي جرت من عهد تلك الخطبة الى الآن تثبت ان الانسان قد يُعدى بالسل البقري. غير ان عدد الحوادث التي ثبت بها ذلك ثبوتاً لا يقبل الريب قليل جدًّا. وسبب هذه القلة صعوبة البحث في انواع مكروب السل الذي يصيب الانسان . واعظم الذين انكروا تعميم قول كوخ في هذه البلاد الدكتوران رافنل وثيوبولد سمث وابحاثهما في هذا الصدد جليلة تكاد تكون مقنعة

ولا يخفى ان المسأَلة ذات وجهين الاول عدوى البقر من الانسان او امكان انتقال السل البشري الى البقر . والثاني عدوى الانسان من البقر . فمن جهة الامر الاول اقول انهُ ظهر من تجارب كثيرين قبل كوخ ان المواشي شديدة المقاومة لمكروب السل البشري . على ان اقطع دليل من هذا القبيل ما وردِ في الرسالة التي كتبها ثيوبولد سمث سنة ١٨٩٨ حيث لخص تجاربهُ بقولهِ "ويؤْخذ من مجموع التجارب التي عملتها في المواشي ان مكروب السل الانساني الذي يؤْخذ من بصاق المسلول لا يعدي المواشي بالطرق العادية" (اي بطريق الفم) . وأَدخل كوخ وشوتس مواد متدرنة ومستنبتات من مكروب السل البشري الى اجسام المواشي باطعامها اياها او تلقيحها بها فلم تُعدَ بها عدوى واضحة . ولكن هذا الامر لا يحلُّ المسالة كلها ولا يمسُّ الوجه الآخر الاهمَّ منها وهو عدوى الانسان من البقر . وقد عرف كوخ ذلك

ولم يفتهُ ولكنهُ نفى عدوى الانسان من البقر اعتماداً على قلة حوادث التدرُّن الذي يحدث في الامعاء ابتداءً وهو النوع الذي لا بدَّ ان يصاب بهِ من يتناول مكروب التدرن مع الطعام (كما لو اكل لحم بقرة مسلولة او شرب لبنها) غير ان التقارير التي ظهرت بعد خطبة كوخ ابانت ان هذا التدرن في الامعاء ليس قليل الحدوث كما ظن كوخ ولا سيما في الاولاد . والمباحث التي آلت اليها خطبتهُ اثبتت اثباتاً مبنيًّا على الفحص المكرسكوبي ان مكروب السل قد يخترق جدران الامعاء السليمة ويصل الى الغدد المساريقية بواسطة المجرى اللمفاوي وترجح منها ايضاً ان مكروب السل قد يصل الى الرئتين بعد دخولهِ الى الاوعية الدموية التي في الامعاء . واذا جمعنا ما عندنا من المعلومات عن عدوى السل بالطعام رأَيناها تناقض ما قالهُ كوخ وتدلُّ على ان مكروبات السل التي تدخل الجسم مع الطعام قد تغرز في غشائهِ المخاطي وتنتقل منهُ الى الغدد اللمفاوية التي في العنق وما جاورها من جهة اللوزتين على المرجح . او تغرز في غشاء الامعاء المخاطي وتخترقهُ من غير ان تحدث المرض فيها اولاً حتى تصيب العقد اللمفاوية المساريقية فتقيم فيها . او تنتقل الى الرئتين مع المجرى الدموي او اللمفاوي . او تتوالد في الامعاء وتحدث التدرن فيها ثم تنتقل الى سائر اجزاء البطن والصدر

ومما يساعدنا على محاربة هذا الداء الذي تزيد مصاعبهُ بنموّ المدن الكبيرة وازدحامها معرفتنا للكيفية التي يخرج المكروب بها من الجسم المصاب ويلوّث الاشياء التي يلمسها ويدخل الجسم السليم . ولا يكاد يؤَمل ان اصابات السلّ تقلُّ قلة اصابات الجدري وحمى التيفوس بمجرد التحوُّط ضدَّ العدوى ولكن مما يبشّر بالخير ان الحرب القائمة على السلّ نقَّصت الوفيات بهِ نقصاً ظاهراً في بعض البلدان ونقَّصت الاصابات ايضاً على ما يرجح . ففي نيويورك قلَّت الوفيات بهِ ٣٥ في المئة منذ سنة ١٨٨٦ . وفي بروسيا بقيت الوفيات بهِ على حال واحدة من سنة ١٨٧٦ الى ١٨٨٦ ولكنها قلّت بعد ذلك ٣٠ في المئة . وهذا يدلُّ على ان اخطار العدوى تقل بانتشار التعليم واصلاح حال الفقراء في طرق معيشتهم وعزل المسلولين في مصحّات ومستشفيات مدة اشتداد الداء عليهم

هذا وان اكتشاف مكروب السلّ احيا الامل باكتشاف طريقة لمعالجتهِ ومنعهِ . ولم يتحقق هذا الامل حتى الآن ولكن ما بذل من المساعي العظيمة في اكتشاف طريقة للوقاية منهُ لم يخل من الفائدة

ومن اهمّ ما كشف عن المكروب ان منهُ انواعاً مختلفة تختلف قوة سمّها باختلاف نوعها فابطل هذا الاكتشاف الرأي القديم القائل ان سم مكروب السلّ ثابت المفعول على درجة

واحدة . وقد ظهر خطاؤهُ هذا الرأْي بامرين الاول اكتشاف تغيرات في قوة السم تختلف باختلاف مصدرهِ · والثاني ضعف مفعول المكروب بطول مدة تربيتهِ خارج جسم الحيوان

واخصُّ الحيوانات التي استخدمها الانسان لامتحان المناعة فيها الارانب والبقر والمعزى اما خنزير غينيا فانهُ من احسن الحيوانات لاكتشاف التدرُّن بالنظر الى شدَّة تاثرهِ من الحقن بالمادة الدرنية لكنهُ لا يصلح لتجارب المناعة مثلما يصلح لتجارب اكتشاف التدرن ومع ذلك فقد استخدم فيها وجاء استخدامهُ ببعض الفائدة

واول تجارب المناعة واهمها تمَّ على يد كوخ في اثناء بحثهِ عن لقاحهِ المعروف باسم التيوبركولين وقد استخلصهُ بان ربَّى مكروب السلّ واستنبتهُ في المرق ثم فصل المكروب عن المستنبت وكثَّف المستنبت · وقد لقح المسلولون بهِ فلم يأْتِ بالفائدة المطلوبة في كلّ الذين لقحوا بهِ ولكنهُ لا يزال نافعًا بل انفع الوسائل الطبية في علاج السلّ · وليس نفعهُ حاصلًا من فعلهِ الشفائي بل من ان لهُ فائدة عظيمة في تشخيص المرض وفعلهُ في المسلول خاصٌّ بهِ ظاهر كلّ الظهور الى حدّ انهُ أعان الاطباءَ اعظم اعانة في كشف النقاب عن الظواهر الكثيرة الاختلاط والاشتباك التي تكوِّن الحالة التدرنية

وقد يساعد هذا اللقاح على زيادة قوة الجسم في مقاومة عدوى السلّ بتلقيحهِ بهِ ولكن هذه الزيادة قليلة لا تذكر . فيمكن ايقاف التدرُّن بهِ عند حدّهِ وهذا الايقاف قد يفضي في بعض الحالات الى الشفاء العاجل او يفضي الى الشفاء الآجل بزيادة قدرة الجسم على الدفاع والهجوم · اما المناعة التامة فلم يتوصل اليها بعد · وسبب ذلك ان اللقاح لا يتضمن جميع القوى الكامنة في المكروب والتي لا بد للجسم من مقاومتها والتغلب عليها دفعًا للعدوى · فان القوى التي فيهِ ليست شديدة السم للجسم السليم من السل · ومن الشروط اللازمة للحصول على المناعة من المكروبات ومتعلقاتها ان يتأَثر الجسم من ادخال سمها فيهِ والَّا فلا تحصل المناعة من الجرعات الكبيرة او السموم التي تكون اشد فعلًا (كالمكروبات نفسها) · نعم ان لقاح كوخ يسم جسم المصاب بالسل ولكنهُ يكاد يكون عديم التأْثير في الجسم السليم منهُ . فقد وجد بعد تلقيح الجسم السليم بهِ انهُ كوَّن فيهِ كمية قليلة من المادة التي تقاوم سم المكروب ولو كان سمًّا شديد الفعل في الجسم لكوَّن فيهِ كميات كثيرة من هذه المادة · فلذلك ظنَّ ان المادة الفعالة فيهِ لا توجد مستقلة بل توجد متحدة بغيرها ولا يفصلها سوى الجسم المصاب وان الانفصال يحدث في بؤَر الدرن بسبب فعل السمّ فيها · فاذا صحَّ ذلك فقد عُرف السبب في ضعف تأْثير اللقاح في الاجسام السليمة

(ستأْتي البقية)

نوادر المعارك

اذا كتب المؤَرخ تاريخ حرب فاعظم ما يهمهُ ويوجه عنايتهُ اليهِ منها وصف العُدد والعِدد وضبط اوقات المعارك وذكر الاسباب والنتائج وغير ذلك مما يفقد التاريخ بهِ جانباً من اللذة والفكاهة فيقرب من العلوم ويبعد عن القصص والحكايات وبذلك يتميز عن الروايات عدا ما كتب منها لتزيين فضيلة او تقبيح نقيصة . ولكنَّ في تاريخ الحروب اموراً قلما ينتبه المؤَرخ لها فيذكرها وهي لو ذكرت لزاد بها التاريخ لذة لانها لهُ كالمِلْح للطعام او كالمُلَح الهزلية في الخطب الجدّية . وانّا ذاكرون بعض الامثلة والشواهد على ذلك نقلاً عن ضابط انكليزي شهد كثيراً من المعارك التي جرت في النصف الاخير من القرن الماضي قال :

تعدُّ معركة كونجراتز التي جرت بين النمسويين والبروسيين سنة ١٨٦٦ من اعظم معارك الحروب الحديثة لان عدد الجنود الذين قاتلوا فيها بلغ ٢٠٠ الف جنديّ او اكثر . وكاد النمسويون يفنون عن آخرهم لولا استبسال فرقة المدفعية وتضحيتهم مدافعهم ليمكّنوا الجيش من التقهقر بانتظام والوصول الى ڤينّا بسلام

وبينما كان الجيش يجدُّ في السير لبلوغ ڤينا والدفاع عنها من جيوش البروسيين الزاحفين عليها صدرت الاوامر الى كلّ ما في المدينة من المركبات وعربات النقل بالخروج للقاء الجيش النمسوي وحمل جنودهِ استعجالاً لهم . ولم يمضِ الاَّ القليل حتى وصل ٣٠ الف مركبة وعجلة الى ڤينا مزدحمة بالجنود . وفي اثناء ذلك صدر الامر بمحاكمة الجنرال بنداك قائد الجيش في مجلس عسكري لانهُ غرّر بجيشهِ وجرّ عليهِ تلك الكسرة المشومة . فتوسّط الامبراطور الحالي في امرهِ واوقف محاكمتهُ على شرط ان يعد بشرفهِ أَن يلزم السكوت الى آخر عمرهِ . ففعل وتوفي بعد ذلك بعشر سنوات والناس يعتقدون انهُ لم يكلّم احداً بكلمة وفاءً بوعدهِ سوى امرأَتهِ وخادمهِ

ومن غرائب الاتفاق ان قائد الجنود البروسية الذي غلب بنداك كان ملتكي المشهور وقد لقّب بالسَّكوت وذلك لانهُ قضى عشرين سنة عضواً في مجلس النواب فلم يخطب غير خطبة واحدة مؤَلفة من كلمة واحدة وهي " اسكتوا " . وبعد معركة كونجراتز بعدة سنوات زار ملتكي بنداك فحيّاهُ بنداك مصافحة وتعشيا معاً ولكن بنداك لم يفهْ بكلمة وجلسا بعد العشاء يلعبان بالشطرنج كانهما يعيدان ذكرى المعارك القديمة كلُّ ذلك وبنداك ملازم للصمت لا يلفظ سوى الكلمات التي يلفظها لاعبو الشطرنج عادة

وفي هذه الحرب نفسها ارتكب البروسيون غلطة مضحكة في معركة تروتنو . وذلك ان احدى الاورط ارسلت طلائعها لتجسس اكواخ ظنت ان قوة من العدوّ كامنة فيها فاحدقت بها من كلّ جانب وبقيت مدة طويلة تتفنن في حركاتها العسكرية ثم هاجمتها فاذا هي زرائب مملوءة خنازير فغنمتها بعد ان قتلت وجرحت نحو ٢٠ خنزيرًا منها في هجومها عليها

ومن خداع المعارك ما فعلهُ عثمان باشا الغازي في معركة بلڤنا الثانية فأكسب بهِ جيشهُ النصر فان الامر كان قد صدر الى الروس بالهجوم على حصن عالٍ كان العثمانيون يحتلونهُ ففعلوا وحمل العثمانيون ايضًا عليهم فالتقى الجيشان وكان لالتقائهما صدمة هائلة تطير لها النفوس شعاعًا . واخيرًا جعل العثمانيون يتقهقرون امام الروس فلما رأى عثمان باشا ذلك خشي ان تدور الدائرة على جنودهِ فأمر المدفعية باطلاق مدافعهم على مؤخرة اخوانهم وغرضهُ من ذلك منعهم من التقهقر فنجحت حيلتهُ لان الجنود رأَت ان ما تفقدهُ بالهجوم من نيران الروس يقلّ عما تفقدهُ بالتقهقر من نيران اخوانها فحملت على العدو حملة صادقة كلّلت بالنصر

وتعدّ حملة الجنود العثمانية على مضيق شبكا سنة ١٨٧٧ من اعظم الحملات في تاريخ الحروب بالنسبة الى عدد الجنود التي اشتركت فيها . فقد كان عدد الجنود العثمانية ٣٠ الفًا ففقدت ١٧ الفًا منها في ساعات قليلة وكان قائدها سليمان باشا وقائد الروس غوركو . ومن غرائب الاتفاق ان سليمان باشا ارتكب في هذه المعركة ما ارتكبهُ غوركو في معركة بلڤنا الرابعة فان كليهما خالف اوامر رئيسهِ وجرى في القتال على خطة رسمها لنفسهِ . اما غوركو فلم يُسأَل عمَّا فعل واما سليمان باشا فحوكم امام مجلس عسكريّ بعد انتهاء الحرب بدعوى ان الروس رشوهُ ليحارب في هذه المعركة ويحاول عبور مضيق شبكا مع علمهِ بان ذلك محالٌ بدلاً من ان يعبر جبال البلقان من مضيق آخر وقد كان ذلك سهلاً عليهِ فلا يفقد رجلاً من رجالهِ . وحكم عليهِ بالقتل ولكن السلطان استبدل الحكم بالنفي المؤبَّد . ومات سليمان باشا بعد ذلك بسنوات قليلة والمقول انهُ انتحر

ومثل هذا جرى لبازين بعد انتهاء الحرب السبعينية بين فرنسا والمانيا فانهُ حوكم في مجلس عسكري بتهمة انهُ اخذ رشوة من الالمانيين وحكم عليهِ بالاعدام فاستبدل رئيس الجمهورية الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة . ولكن بازين فرَّ من سجنهِ الى مدريد ومات فيها بعد ذلك بسنوات قليلة فقيرًا معدمًا

ومن المعارك المشهورة معركة جبورجيفو من معارك حرب القرم سنة ١٨٥٤ جرت بين

الجنود العثمانية وعددها ٥ الاف والروس وعددهم ٢٠ الفًا ٠ وكانت الجنود العثمانية بقيادة قائد كبير السن فلما رأى انهُ لا يستطيع قيادة جنودهِ نظرًا الى كبر سنهِ وضعفهِ عهد في ذلك الى جنديين انكليزيين كانا معهُ وثلاثة مهندسين انكليز اتفق وجودهم هناك حينئذٍ وكان عمر اكبرهم سنًّا ٢٢ سنة فحملوا على الروس حملة منكرة وهزموهم ونالوا الغلبة٠ ولما عُلم ما فعلهُ هذا القائد وهو من قبيل انكارهِ لنفسهِ جازتهُ دولتهُ ودولة انكلترا ودولة فرنسا بمبلغ طائل من المال ٠ ونمي الخبر الى القيصر نقولا الاول فقال " لقد غلبنا حفنة من الترك يقودهم خمسة من صبيان المدارس " ولم يمضِ على ذلك وقت طويل حتى مرض ومات ويقال ان حزنهُ على ما اصاب جنودهُ في هذه المعركة عجل بموتهِ

ومن النكات المضحكة المبكية ما جرى بين الجنود البلغارية وبعض عصابات اللصوص سنة ١٨٨٥ ٠ وذلك ان اللصوص اعتصموا بقمة احدى الروابي فهاجمها الجنود من جهتين مختلفتين في وقت معًا ٠ ثم سطا ضباب كثيف على الرابية فاغتنم اللصوص الفرصة وانسلوا هاربين تحت جنحهِ والجنود لا تدري من امرهم شيئًا بل ما زالت تصعّد في الرابية من الجهتين حتى بلغت قمتها والتقى الفريقان هناك وكلٌّ منهما يظن الآخر عصابة اللصوص بسبب تكاثف الضباب فالتحما وتقاتلا قتالاً شديدًا مدة ساعة ولم يكتشفا خطاءهما الَّا بعد ان قتل وجرح مئات منهما

وجرى مثل هذا الخطاء في حرب البوير الاخيرة ٠ فان الضابط الذي نقلنا عنهُ معظم ما تقدم كان يقود اورطة انكليزية في مكان اسمهُ بتولي عند نهر الاورنج وكانت فصيلة حرس كولدستريم نازلة في مكان اسمهُ أليوال على بعد ٢٠ ميلاً الى الشمال ٠ فظهر جيش من البوير بقيادة فوشه على ضفة النهر المذكور في منتصف الطريق بين الاورطتين الانكليزيتين وعادت الكشّافة من الانكليز تخبر ان البوير يزحفون من جهتين مختلفتين فخرجت الاورطتان الانكليزيتان للقائهم ولكن البوير انسلوا من اماكنهم تحت جنح الظلام والانكليز لا يدرون بذلك فالتقى فريقاهم ودار القتال بينهم وسقط كثيرون منهم قتلى وجرحى قبلما ادركوا خطاءهم٠ وكيفما كانت الحرب فليس فيها الَّا الويل وما هذه النكات القليلة سوى ملح مصبوغة بالدماء

سباق الخيل والرهان

مهما يُقَل في الدفاع عن الرهان وخصوصاً ما تعلَّق منهُ بسباق الخيل لم يخرج من الوجهة الادبية عن كونهِ ضربًا من ضروب المقامرة · ولا يشفع فيهِ ان المبالغ التي يعقد الرهان عليها هي على الغالب قليلة لا تغني من جوع لان الجرم في نظر الناموس الادبي جرم كبُر او صغُر هذا ناهيك بانهُ كثيرًا ما يكون الرهان على مال طائل يفلس بخسارتهِ زيد ليغتني بربحهِ عمرو فهو من هذا النظر قمار محض يجرُّ من العواقب الوبيلة ما يجرُّهُ القمار · فكم سمعنا بانتحار زيد وموت بكر غمًّا من خسارة كلٍّ مالهما بالرهان . على ان ما يجعل رهان الخيل عند الناس ارفع رتبة من سواهُ من ضروب المقامرة اقبال الكبراء والعظماء عليهِ وعلاقة الملوك بهِ ولو من جهة اقتناء الخيل للسباق · ثم انهم يعدُّونهُ نوعًا من الملاهي فيفقد صفة المقامرة او تتغلب عليهِ صفة التسلية · وزد على هذا وذاك قول انصارهِ انهُ ليس قمارًا محضاً مدارهُ على مجرَّد الصدفة والاتفاق بل انهُ يعتمد على شيءٍ منظور محسوس وهو الفرس الذي وقع الرهان عليهِ · فانك ترى الفرس او تسمع عن تجليتهِ في الحلبات السابقة فتراهن عليهِ بناءً على ان ارجحية السبق لهُ فالرهان الذي فيهِ ارجحية ليس مقامرة بل هو ضرب من التجارة · فيجيبهم مقاومو الرهان عمومًا ان الفرق بين الرهان على فرس سبَّاق والتجارة هو في درجة تلك الارجحية فقد أَبان الاختبار ان ارجحية الربح من رهان الخيل لا تذكر في جنب ارجحية الربح من التجارة بدليل ان كل المتراهنين يخسرون و ١٠ في المئة من التجار يخسرون على وجه التعديل والباقون يربحون وهذا يجعل الفرق بين الامرين فرقًا في النوع لا في الكم فقط اي ان الرهان والتجارة شيئان مختلفان لا وجه للشبه بينهما

ومن رأْي كثيرين من اكابر علماء القانون ان الرهان حلال وانهُ ليس من القمار في شيءٍ ويؤيدون رأْيهم هذا بادلة لا محلَّ لايرادها هنا · وقد ذهبوا الى ابعد من ذلك فقالوا ان بعض الالعاب التي يعدُّها الناس عمومًا مقامرة ليست كذلك

اما ان المتراهنين يخسرون ولو كانوا من اكثر الناس خبرة بطرق الرهان فواضح من الحكاية الآتية — حكاها رجل انكليزي مارس الرهان على سباق الخيل مدة طويلة وخبر اطوارهُ كلها فلم تجدهِ ممارستهُ وخبرتهُ نفعًا بل كان الخاسر في النهاية · قال

ان قسمًا كبيرًا من الجمهور يراهن في سباق الخيل وقيمة الرهان تختلف من ثلاث بنسات الى الف جنيه فاكثر · فيسأَل الانسان طبعًا هل المراهنة صفقة رابحة · ولما كنت قد اولعت

بسباق الخيل في لندن منذ ٢٥ سنة وعرفت كلَّ من لهُ علاقة بهِ من مسابقٍ ومراهنٍ اتخذ الرهان مهنة لهُ فرأْيي بهذا الصدد رأْي خبير يعوَّل على قولهِ . وخلاصة رأْيي ان المراهن مجنون وقوة جنونهِ قوة مئة حصان . ولكن هذا لا ينفي ان المراهن يربح احيانًا ارباحًا كبيرة بالنسبة الى المبالغ التي يتراهن عليها كما قد يربح المقامر . فان المركيز هايستنس راهن حتى خسر امواله واملاكهُ كلها ومات شابًّا مفطور القلب مكسور الخاطر . ففي سباق واحد خسر ما يزيد على مئة الف جنيه . وربح نحو هذا القدر في سباق اخر ثم عاد فخسرهُ . وخسر مراهن آخر اسمهُ ارنست بنسون نحو ربع مليون جنيه في اشهر قليلة قضاها في السباق . ومنذ سنوات قليلة قصد اميركي انكلترا للسباق فراهن وكسب قدرًا عظيمًا من المال عاد بهِ الى اميركا ضاحكًا مسرورًا . وفي الفصل التالي قصد انكلترا ثانية بعد ان ذاق حلاوة الفوز في المرة الاولى فراهن فخسر كلَّ ما كان قد ربحهُ وعاد مغتمًّا مكسورًا وعليهِ لاصحاب اماكن الرهان دين طائل

على ان الذين يربحون هم اصحاب اماكن الرهان كما ان الرابحين في القمار هم اصحاب اماكن اللعب والخاسرين زبائنهم . فقد عرفت كثيرين من المراهنين قضوا زمنًا طويلاً لا يعرفون سوى الخسارة واخيرًا ادركوا خطأَهم وانقلبوا من مشترى تذاكر الرهان الى بيعها . ولم تمضِ عليهم سنوات قلائل حتى كانت لهم خيل وأَنعم وزروع واموال طائلة يصرّفونها كيف شاؤُوا . وقد قابلت احدهم منذ مدة قصيرة وهو صاحب معمل للفولاذ يعدُّ من اكبر المعامل التي من نوعهِ . فقال ان عندي ثلاثة آلاف عامل يعملون اعمالاً شاقة ليحصلوا على رزقهم وقد عرضت عليهم تذاكر السباق وهم يتناولون طعام الظهر فاشتروا منها بخمسين جنيهًا

واجتمعت مرة بصديق في سباق أسكوت قضى عمرهُ ولم يكن لهُ همٌّ سوى المسابقة والمراهنة فقال لي " لو لم أُراهن في الثلاثين سنة الماضية لكنت الآن غنيًّا جدًّا " . وهذا الصديق من اعظم الخبيرين بالسباق ومتعلقاتهِ يرسل كلَّ سنة ٥٠ الف رسالة برقية الى اصدقائهِ العديدين يتكهن فيها بالخيل التي يرى انها تكون السابقة والغالب انهُ يصيب ومع ذلك لم تفدهُ خبرتهُ شيئًا

فاذا اردت المراهنة فافعل ما افعلهُ انا الآن. فاني اكتب مقدار الرهان ونمر الخيل التي اظنُّ انها تربح على ورقة وأُعطيها لامرأَتي والمقدار الذي أُراهن عليهِ صغير دائمًا . وقد خسرت منذ مارس الماضي الى الآن (اوغسطس) نحو ٥٠ جنيهًا مع خبرتي وكثرة اطلاعي ولكن المال الذي خسرتهُ لم يذهب الى ارباب الرهان بل كسبتهُ مني امرأَتي فحفظتهُ في صناديق التوفير

ومن اكثر الناس تعلقاً بالسباق واشتغالاً بهِ ملك انكلترا الحالي قبلما تولى الملك . فقد مضت مدة وخيلهُ تسبق في كلّ حلبة تقام في انكلترا ثم خانهُ السعد وفارق خيلهُ السبق . ثم دار دولاب البخت دورتهُ وعاد يربح كما في العهد الاول

ولم يقتصر ولعهُ على تربية الخيل واعدادها للسباق بل انهُ لما كان شاباً كان يركب خيلهُ كاحد سوّاسهِ ويسابق عليها . وركب مرة جواداً في سباق أُقيم في جزيرة امرالد وكان ولي العهد وسمَّى نفسهُ "الكبتن ملفيل" فجرى الجواد بهِ شوطاً مع المتسابقين ولم يدرِ الاَّ القليلون انهُ هو ولي العهد عينهُ

ومن افكه ما يحكى عنهُ من حكايات السباق انهُ اشترى فرساً اسمها برديتا الثانية بنحو الف جنيه فانتجت لهُ ثلاثة جياد ربح الواحد منها ٧٨٥٥ جنيهاً والثاني ٣٤٧٠٦ جنيهات والثالث ٢٩١٨٥ جنيهاً . ويقدَّر ثمن الثلاثة بمئتي الف جنيه . وكان ابو احدها من خيل دوق بورتلند فربح منهُ نحو ربع مليون جنيه في السباق . وباع الملك احدها حديثاً لغنيٍّ من بونس ايرس بمبلغ ٣٠ الف جنيه

اما ما ربحهُ من السباق في عشر سنوات ابتداؤُها سنة ١٨٩١ فكان ما يأتي

سنة	جنيه
١٨٩١	٤١٤٨
١٨٩٢	١٩٠
١٨٩٣	٣٧٢
١٨٩٤	٣٤٩٩
١٨٩٥	٨٢٨١
١٨٩٦	٢٦٨١٩
١٨٩٧	١٥٧٧٠
١٨٩٨	٦٥٦٠
١٨٩٩	٢١٨٩
١٩٠٠	٢٩٥٨٥

فالمجموع ٩٧٤١٣ جنيهاً . وفي سنة ١٩٠١ لم ينزل خيلهُ الى الميدان ويقال انهُ ينوي ترك السباق بتاتاً

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النساء والسياسة

يرى البعض ان الطبيعة خصَّت الرجال بالدهاء السياسي وضنت على النساء بهِ او حرمتهنَّ اياهُ · ويخالفهم البعض الآخر في ذلك ومنهم المستر ستد صاحب مجلة المجلاَّت الانكليزية فقد نعى في العدد الاخير من مجلتهِ امرأَة من البوير اسمها ما دام كوبانس دي وت وابنها فقال في تأبينها ما يأْتي

" ان الذين يعتقدون بان الرجال احتكروا الدهاء السياسي لانفسهم وتركوا النساء يجرين خلفهم مقصرات فيهِ يصعب عليهم ان يعللوا وجود نساء مثل ما دام دي وت – امرأَة قضت ٣٠ سنة وهي اعظم النساء نفوذًا واعلاهن كلمة في جنوب افريقية كلهِ · ولو أَتاح لها القدر فخلقت رجلاً لتولَّت منصب رئاسة الوزارة في مستعمرة الرأْس ولما حدثت حرب الانكليز والبوير اذ لم يكن في جنوب افريقية حيٌّ عاقل اسمى عقلاً واقوى جنانًا وابعد نظرًا في الامور منها. ولكنها خلقت امرأَة فحرمت كلَّ فرصة لنفع البلاد رأْسًا ولما رأَت ابواب مجلس الامة موصدة دونها جعلت بيتها مركزًا للنفوذ السياسي فلما آنت الساعة واستحكمت حلقات الازمة في الترنسفال قبل وقوع الحرب وتوقف انفراجها على كلمة حرة يقولها حرٌّ وعزمة ثابتة يعزمها بطلٌ شنأَها الاعوان والانصار فكانت الحرب . وقد كان رودس يجلُّ قدرها ويعجب بها وكلُّ الذين عرفوها احبُّوها وبالغوا في احترامها واجلال قدرها . وسيبقى ذكرها عونًا لنساء جنوب افريقية خصوصًا ونساء سائر الاقطار عمومًا في جهاد هذه الحياة ومنارًا ينير ظلماتها المدلهمة "

تولستوي والنساء

قال الكونت تولستوي الفيلسوف الاجتماعي الروسي

قرأْت مرة مقالة عن النساء شفَّت عن حذق وبعد نظر . ومما قالهُ كاتبها " ان النساء يحاولن ان يظهرن لنا انهنَّ يستطعن عمل كلِّ ما يستطيعهُ الرجال · ولست أُنازع في ذلك

بل اعتقد صحتهُ واعتقد ايضاً انهنَّ يتقنَّ اعمال الرجال اكثر منهم · اما الرجال فلا يستطيعون عمل شيءٍ او شبه شيءٍ مما يستطيع النساءُ

وهذا صحيح لا ريب فيهِ · فهنَّ لا ينفردن في ولادة الاولاد وتربيتهم وتهذيبهم في طفولتهم بل في ذلك العمل اسمى الاعمال واقربها الى الله — عمل المحبة والتسليم الاعمى الى المحبوب وهو عمل عملتهُ النساءُ الصالحات البارّات ويعملنهُ الآن وسيعملنهُ الى الابد بغاية الاتقان وتمام السهولة لانطباعهنَّ عليهِ بخلاف الرجال · ولعمري ماذا كان يجري بالعالم عموماً وبنا نحن الرجال خصوصاً لو لم تكن للنساء تلك الخلَّة ولو لم يمارسنها · فقد نستطيع الاستغناءَ عن الطبيبات والمحاميات والعالمات والكاتبات ولكن كيف نستطيع المعيشة بلا امهات ومعزّيات من اللواتي يحببن في الرجال اسمى ما فيهم ويرفعن ما هو افضل واشرف . حقًّا ان العيشة على الارض بلا نساء مثل هؤُلاء باطلة لا يشتهيها احد · ولولا تلك الصفة لما كان هناك الوف والوف الوف من النساء المجهولات اللواتي هنَّ خير النساء مثل كلّ مجهول اولئك اللواتي يعطفن على السكيرين والضعفاء وفاسدي الآداب وهم اشدُّ الناس حاجة الى الشفقة وتعزيات المحبة · في هذه المحبة اعظم قوة المرأة واهمها تلك القوة التي لا يعتاض شيءٌ عنها

فما هذه الصيحة والجلبة وما تلك المسأَلة التي يسمونها مسأَلة النساء وترى معظم النساء وكثيرين من الرجال في شغل شاغل بها عن غيرها · ان المرأَة تبتغي اصلاح حالها فنعم البغية ونعم المطلب ما احقهُ"

انتهى كلام الكاتب الذي نقل تولستوي عنهُ ما تقدم ثم عقَّب تولستوي عليهِ بقولهِ "ولكن مطلب المرأَة غير مطلب الرجل وعليهِ لا يمكن ان تكون الغاية القصوى التي ترمي اليها من الكمال هي نفس غايتهِ . فلو سلمنا جدلاً باننا نعرف تلك الغاية فمن المؤَكد انها ليست الغاية التي يرمي الرجل اليها · ومع ذلك فانك ترى المرأَة العصرية تحاول مجاراة الرجل في غايتهِ ومسابقتهِ اليها جهلاً وتغريرًا فتسعى الى حتفها بظلفها"

مسأَلة الخادمات

مسأَلة الخادمات وخدمتهنَّ في المنازل مسأَلة تشغل العائلات في كلّ بلاد والقطر المصري في الجملة وخصوصاً عاصمتهُ فما من ربة بيت في العائلات الغنية والمتوسطة الاَّ وتراها تشكو امر الخدمة في المنزل ولا حديث للنساء في استقبالهنَّ الاَّ هذا الحديث · وربما كانت الشكوى من هذا الامر اخفّ عندنا منها في انكلترا لاننا كثيرًا ما نستخدم الرجال حيث لا يستخدمهم الانكليز · وقد علت شكوى الانكليز حديثاً من قلة الخادمات ورغبتهنَّ عن

الخدمة وكتب الكتّاب كثيرًا في هذا الموضوع منهم كاتب نشر مقالة في مجلة اسمها "حسن تدبير المنزل" واقترح فيها اقتراحًا غريبًا في بابهِ لعلاج هذه المسأَلة . قال ما ملخصهُ :

عمد الناس الى وسائل متعدّدة لاصلاح امر الخادمات مثل فتح مكاتب لهنّ يطلبن منها وجلب خادمات من الخارج وفتح مدارس لتعليمهنّ الخدمة وتمرينهنّ عليها فلم تأْتِ هذه الطرق بالغاية المطلوبة . اما انا فأَرى ان تفتح لهنّ ثكنات مثل ثكنات العساكر يخدمن فيها سنتين ويعلّمن كلّ عمل يتعلق بتدبير المنزل ويتمرّنّ عليهِ . ويكون لهنّ في الثكنات حمامات وجمنستيك ومكتبة وغرف للجلوس الخ . ومتى اتمت البنت مدتها وصارت اهلاً للخدمة يعين لها مركز بماهية تفوق ماهية البنت التي لم تتمرّن على الخدمة . والاَّ بقيت في الثكنة الى ان يوجد لها مركز . ولا تزيد ساعات خدمتها عن ١٠ ساعات او ١٢ ساعة الاَّ اذا دفعت لها علاوة عن الساعات الزائدة وتكون حرّة في ليلها تقضيهِ حيث تشاءُ . ويستقطع جزءٌ من ماهيتها كلّ اسبوع للانفاق على الثكنة

هذا من جهة الخادمة واما المخدومة التي تطلب خادمة من الثكنة فيشترط عليها ان تكون ممن يحسن معاملة الخادمات والاَّ ردّت فارغة . وتطلب منها ماهية تزيد عن الماهية العادية والمكتب يتكفل بان تكون الخادمة ماهرة نظيفة مرتبة حسنة السلوك غير متلافة

المرأَة الاميركية في المنزل

كتبت احدى الكاتبات الانكليزيات مقالة في النساء الاميركيات واشغالهن البيتية ابانت فيها ان ربات المنازل في كثيرٍ من ولايات اميركا يستغنين عن الخادمات ويشتغلن في منازلهنّ بايديهنّ . قالت "وقد اجتمعت بمئات من النساء المتزوجات اللواتي تربين في المدارس فلم اجد في منازلهنّ خادمة . ووجدت ان ازواجهنّ من اطباءَ ومحامين واصحاب جرائد وملاَّك وقسوس ينهضون باكرًا ويساعدونهنّ في اعداد طعام الصباح . والنساءُ يعملن اعمال البيت الشاقة كلها حتى غسل الثياب وكيها"

فمسأَلة الخادمات لا وجود لها عندهنّ كما عند اخواتهنّ الانكليزيات وعند نسائنا . وترى الواحدة منهنّ تحسن الضرب على البيانو وفهم اليونانية القديمة واللاتينية ولا تأْنف مع ذلك من ان تكون مرضعًا ترضع اولادها وتطبخ الطعام وتغسل الثياب بيديها . فعسى ان تقتدي المرأَة الشرقية بها وتقلل من التشبه بالباريسيات في التنعم والترف فلا نعود نجد بين رجالنا احدًا يشكو عدم الزواج لانهُ فتش عن فتاة تحسن الضرب على البيانو وهزّ سرير الطفل بيدها فلم يجد كما سمعنا بعضهم يقول

الاجسام الغريبة في الحنجرة

كثيرًا ما يسرع الاولاد في الاكل و بلع اللقمة قبل تمام مضغها فتقف قطعة كبيرة منها في المريء وتضغط القصبة فيشعرون بضيق في التنفس . او يبتلعون قطعة نقود او زرًّا او حسكة . او يشهقون بغتة وهم يأكلون فتندفع قطعة من الطعام الى القصبة وهذه الحالة الاخيرة اعسر الحالات . وخير ما يعمل فيها ان يقلب الولد راسًا لعقب و يضرب على ظهرهِ بين كتفيهِ فيسقط الجسم الغريب من الحنجرة غالبًا . اما الاشياء التي تقف في المريء ويتعذر انزالها الى المعدة فيمكن ازالتها منهُ بتهييج القيء فتخرج معهُ . واذا وقف الجسم الغريب في اعلى البلعوم فيمكن نزعهُ بالاصابع احيانًا او بمضغ قطعة من الخبز و بلعها وهذه الطريقة تستعمل كثيرًا لازالة الحسك . والعادة ان يشرب الماء عند الغصة اي وقوف اللقمة في المريء . اما اذا استعصى الجسم الغريب فليستدعَ الطبيب حالاً

والاجسام الغريبة التي تدخل المعدة كقطع النقود والازرار وما اشبه لا تضرُّ مبتلعها ضررًا يذكر بل تمرُّ مع الطعام غير المهضوم من المعدة الى الامعاء فالخارج ولكن اذا عقب ابتلاعها قبض في الامعاء فلتؤْخذ شربة لتسهيل خروجها . ويفضل الحقن بماء سخن قبل تناول الشربة

اما ابتلاع الابر والدبابيس وما اشبهها فاكثر خطرًا من ابتلاع قطع النقود والازرار . فيجب اذ ذاك ان يقلل شرب السوائل و يكثر من اكل المواد القليلة الغذاء التي تترك فضلات كثيرة في الامعاء فتكتنف الاجسام الغريبة وتمنعها من جرح الامعاء . وقد عرفت حوادث دخلت فيها الابر الى العروق وجرت مع الدم ثم غرزت في العضلات فأحدثت فيها ورمًا فاستؤْصلت منها

وقد يبتلع الاولاد قطع زجاج وعلاجها علاج الابر والدبابيس ولا يجوز في الحالتين شرب المسهلات

الاجسام الغريبة في الاذن

اذا دخل الاذن جسم غريب فلا يجوز نكشها لاخراج ما فيها بل يجب ان يمال الراس على الاذن المصابة ثم تشدُّ قصد تقويم قناتها و يلطم الراس من فوق لطمًا خفيفًا فيسقط الجسم الغريب اذا كان صغيرًا . واذا كان حبة حمص او لوبياء او ما شاكل وجب ازالتها حالاً

لانها تمتصُّ من رطوبة الجسم فيكبر حجمها ويعسر ازالتها بعد ذلك . فاذا لم تزل بالطريقة المتقدمة فليستدعَ الطبيب

وكثيرًا ما تدخل الاذن حشرة تحدث فيها الماً شديدًا فيجب على المصاب حينئذٍ ان يضطجع واذنهُ المصابة الى فوق ثم تملأُ سمناً حارًّا او زيتاً حلواً من ملعقة وتشدُّ في اثناء ذلك لتمتلئَ قناتها فتموت الحشرة ويستريح المصاب

الاجسام الغريبة في الأَنف

اذا دخل جسم غريب احد المنخرين فالغالب ان يزال بسدّ المنخر الآخر واخراج النفس بسرعة من المنخر المسدود . واذا سدَّ المنخران يجب ان يتنفس بالفم ويخرج النفس من المنخرين معًا بقوة فاذا لم تنجح هذه الطريقة فخير ان يستشار الطبيب لان محاولة اخراج الجسم الغريب بالقوة قد تفضي الى انفجار وعاء دموي

الاجسام الغريبة في العين

العين اكثر الاعضاء احساساً وتأثرًا حتى ان ذرة غبار او هباء منثور تهيجها اذ تعلق بباطن احد الجفنين او بالمقلة نفسها فيشعر المصاب بوخز في عينهِ عند كلّ طرفة . فاذا علق الجسم الغريب باحد الجفنين يزال بقلب الجفن ومسحهِ بخرقة ناعمة وغسل العين بالماء الحارّ . واذا علق بالمقلة نفسها فلا غنى عن الطبيب لازالتهِ

الاجزاخانة في المنزل

لما كان الاولاد معرضين لآفات كثيرة من رضٍّ او جرح او حرق فالواجب ان يكون في كلّ بيت اجزاخانة صغيرة تحتوي بعض الادوية البسيطة لاستعمالها حين الحاجة . ومن اكثر الاشياء لزومًا ما يأْتي :

زجاجة ارنكا . زجاجة خردل . بعض المنعشات كالكافور او روح النشادر . فازلين او زيت زيتون . لزق خردل . ربط . دواءٌ مضادٌّ للفساد . ملطف . زجاجة او اكثر للماء الحار

فهذه تغني عن الطبيب في الآفات البسيطة المتقدم ذكرها اذ تكون ربة البيت فيها طبيباً وصيدلياً

باب الزراعة

البلدان الزراعية

(٣) ايطاليا

مساحة الاراضي الزراعية في ايطاليا ٢٨٦٦٨٢٢١ هكتاراً (الهكتار نحو فدانين ونصف) منها ٢٠٢٤٨٠٠٠ هكتار (٧٠٫٦ في المئة) تزرع وتأتي بموسم و ٤٦٤٧٠٠٠ هكتار (١٦٫٢ في المئة) من الارض البور و ٣٧٧٣٠٠٠ هكتار (١٣٫٢ في المئة) لاتكاد تخرج شيئاً . وهاك جدولاً يبيّن مقدار حاصلاتها الزراعية في بعض السنين الاخيرة

		سنة ١٩٠١	سنة ١٩٠٢	سنة ١٩٠٣
القمح	هكتولتر (١)	٥٨٠٠٠٠٠٠	٤٨٠٠٠٠٠٠	٦٥٠٠٠٠٠٠
الذرة	"	٣٥٤٠٠٠٠٠	٢٥٠٣٠٠٠٠	٣١٣٦٠٠٠٠
الرز	"	٨٨٨٠٠٠٠	٨٤٨٠٠٠٠	٩٦٦٠٠٠٠
الخمر	"	٤٤١٨٠٠٠٠	٤١٤٤٠٠٠٠	٣٥١٠٠٠٠٠
زيت الزيتون	"	٣٢٠٠٠٠٠	١٨٥٠٠٠٠	٣٢٦٠٠٠٠
الدخان	(كيلو غرام)	٥٧٧٦١٢٥	٥٠١٣٢٤١	٥٥٢٨٤٢٥
الاثمار الحامضة	(عدد)	٤٤٧٥٠٠٠٠٠	٤٩٠٠٠٠٠٠٠	٥٢٥٠٠٠٠٠٠

وفي ١٩٠٤ بلغت صادراتها من البقر ٣١٠٨٨ راساً ووارداتها منها ٢١٤٩٠ . وصادراتها من الغنم ٤١٤٤٦ ووارداتها ٩٢٨٩ . وصادراتها من المعزى ٢٠٤٢ ووارداتها ٧٠٣٦ . وصادراتها من الخنازير ١٦٦٧٢ ووارداتها ٤٧٥٩

ويقدَّر معدَّل حاصلاتها السنوية من الشرانق في كلٍّ من الخمس السنوات التي تبتدئ سنة ١٩٠٠ وتنتهي سنة ١٩٠٤ بمبلغ ٥٣٥٠٠٠٠٠ كيلو غرام ومن الحرير بمبلغ ٥٢٠٠٠٠٠ كيلو غرام

---

(١) الهكتولتر ٢٫٧٥ من البشل الانكليزي في المكيولات و ٢٢ غالونًا في السوائل

وصناعة السكَّر تتقدم فيها تقدماً سريعاً فقد كان عددُ معامل السكَّر اربعة سنة ١٨٩٨ تصنع ٧٩٦٠ طنًّا فاصبح عددها في السنة الماضية ٣٣ معملاً تصنع ٩٥٤٠٩ طنّات وأُحصي اهالي البلاد سنة ١٩٠١ فبلغ عدد المشتغلين بالزراعة من الذين سنهم ٩ سنوات فما فوق ٦٤١١٠٠١ من الذكور و٣٢٠٠٠٠٢ من الاناث

(٤) المانيا

يظهر من التقارير الرسمية التي وضعت في المانيا بين سنة ١٨٩٣ وسنة ١٩٠٠ ان ٩١ في المئة من مساحتها ارض زراعية و٩ في المئة ارض بور . فان مساحة الارض المزروعة والكروم ٢٦٣٩٢٥٢٣ هكتارًا . ومساحة المروج والمراعي الدائمة ٨٦٦٢٨٧٤ . ومساحة الحراج والغابات ١٣٩٩٥٨٦٩ . ومساحة الارض البور ٥٠١٣٥١٩ . وبلغ عدد المشتغلين بالزراعة ٨١٥٦٠٤٥ نفسًا . ويلي جدول يتضمن مساحة الاراضي التي زرع فيها اهم الحاصلات في ثلاث سنوات . والقياس بالهكتار

	سنة ١٩٠٢	سنة ١٩٠٣	سنة ١٩٠٤
القمح	١ ٩١٢ ٢١٥	١ ٨٠٧ ٤٧٥	١ ٩١٧ ٥١٣
الذرة	٦ ١٥٤ ٥٤٥	٦ ٠١٢ ٨١٧	٦ ٠٩٩ ٢٧٠
الشعير	١ ٦٤٤ ٠٢٥	١ ٧٠٠ ٤٩٣	١ ٦٢٧ ٠٧٨
الاوتس	٤ ١٥٦ ٢٩٠	٤ ٢٩٠ ٣٩٨	٤ ١٨٩ ٦٨١
البطاطس	٣ ٢٤٠ ٥٧٧	٣ ٢٣٧ ٥٥٨	٣ ٢٨٧ ٨٦١
المراعي	٥ ٩٤٩ ٥٣٣	٥ ٩٢٣ ٨٥٦	٥ ٩٤٦ ٩٩٠
الكرم	١١٩ ٩٢٢	١١٩ ٦٤٩	١١٩ ٨٧٣
الدخان	١٧ ٣٢٥	١٦ ٥٥٢	١٥ ٩٠٦
حشيشة الدينار (لعمل البيرة)	٣٦ ٧٣١	٣٦ ٦٦٧	٣٧ ٨٨٨

وهذا جدول يتضمن حاصلات هذه الاراضي في السنوات المذكورة . والقياس بالطن"

	سنة ١٩٠٢	سنة ١٩٠٣	سنة ١٩٠٤
القمح	٣ ٩٠٠ ٣٩٦	٣ ٥٥٥ ٠٦٤	٣ ٨٠٤ ٨٢٨
الذرة	٩ ٤٩٤ ١٥٠	٩ ٩٠٤ ٤٩٣	١٠ ٠٦٠ ٧٦٢
الشعير	٣ ١٠٠ ٢٢٧	٣ ٣٢٣ ٦٣٩	٢ ٩٤٨ ١٨٤

الاوتس	٧ ٤٦٧ ٢٥٠	٧ ٨٧٣ ٣٨٥	٦ ٩٣٦ ٠٠٣
البطاطس	٤٣ ٤٦٢ ٣٩٣	٤٢ ٩٠١ ٥٣٠	٣٦ ٢٨٧ ١٩٢
الحشيش اليابس	٢٦ ٠١٧ ٠٨٣	٢٦ ٣٥٥ ٠٢٧	٢١ ٥٠٧ ١١٩
حشيشة الدينار	٢٢ ٧٦٤	٢١ ١٢٠	٢٢ ٢٨٨
الدخان	٣٧ ٦٩٨	٣٣ ٠٧٢	٣٤ ٣٨٠
الخمر (بالهكتولتر)	٢ ٤٧٥ ٦٩٩	٣ ٧٨٥ ٦٩٧	٧ ٢٤٤ ٤٠٨

وكان سنة ١٩٠٠ في البلاد كلها ١٦٨ ٤٣٢ ٠٠٠ شجرة ثمر منها ٥٢ ٣٣٢ ٠٠٠ شجرة تفاح و ٢٥ ١١٦ ٠٠٠ شجرة كمثرى و ٦٩ ٤٣٦ ٠٠٠ شجرة خوخ (برقوق) و ٢١ ٥٤٨ ٠٠٠ شجرة كرز . وكان عدد البهائم فيها تلك السنة كما يأتي

الخيل	٤ ١٩٥ ٣٦١
البقر	١٨ ٨٣٩ ٦٩٢
الغنم	٩ ٦٩٢ ٥٠١
الخنازير	١٦ ٨٠٧ ٠١٤
المعزى	٣ ٢٦٦ ٩٩٧

القطن الاميركي

صدر من القطن الاميركي الخام الى الخارج في السنة المالية التي انتهت حديثًا ما قيمتهُ ٨٠ مليون جنيه وهو اعظم ما بلغهُ حتى الآن على حين ان قيمة الصادر من الحديد والفولاذ بلغت ٣٢٢٠٠٠٠٠ جنيه . وقيمة الصادر من القمح والدقيق بلغت ٣٧٢٠٠٠٠٠ . وقيمة الصادر من سائر مواد الطعام ٤٢٢٠٠٠٠٠ . ومعظم ما بلغتهُ قيمة صادرات القطن منها قبل سنة ١٩٠١ نحو ٦٠ مليون جنيه اي انها زادت اكثر من ٣٠ في المئة في خمس سنوات . وليس سبب هذه الزيادة العظيمة زيادة الكمية الصادرة فقط بل زيادة الثمن ايضًا . فان صادرات سنة ١٩٠٦ قلَّت عن صادرات سنة ١٩٠٥ سبع مئة مليون ليبرة ولكن ثمن صادراتها زاد اكثر من اربعة ملايين جنيه عن ثمن صادرات سنة ١٩٠٥

ثم ان صادرات القطن المصنوع زادت ايضًا فبلغت قيمة ما بيع منها في البلدان الاجنبيَّة ١٠٥٠٠٠٠٠ جنيه يقابلها ١٠٠٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٠٥ . فالزيادة ليست كبيرة ولكن اذا قوبلت صادرات هذه السنة بصادرات سنة ١٩٠٤ ظهر الفرق جليًّا فقد بلغت قيمة

صادرات القطن المصنوع ٤٥٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٠٤ على حين انها لم تبلغ مليوني جنيه قبل سنة ١٨٧٧ الاَّ في سنة واحدة

والقطن الخام الذي يصدر من اميركا يباع كلهُ تقريباً في اوربا فقد أُصدر اليها من قطن السنة الماضية ما قيمتهُ ٧٦٥٠٠٠٠٠ جنيه والباقي وقيمتهُ ٣٥٠٠٠٠٠ أُصدر الى غير اوربا . فاشترت انكلترا منهُ بمبلغ ٣٥٤٠٠٠٠٠ جنيه والمانيا بمبلغ ٢٠٢٠٠٠٠٠ جنيه وفرنسا بمبلغ ٩٠٠٠٠٠٠ جنيه وايطاليا بمبلغ ٥٤٠٠٠٠٠ جنيه وبقية بلدان اوربا اشترت بمبلغ ٦٥٠٠٠٠٠ جنيه . واشترت اليابان مما أُصدر الى غير اوربا بمبلغ ١٥٠٠٠٠٠ جنيه

اما القطن المصنوع (وقيمة صادراتهِ ١٠٥٠٠٠٠٠ جنيه) فاشترت الصين منهُ بمبلغ ٦٠٠٠٠٠٠ جنيه . وبلغ طول الانسجة القطنية التي اصدرتها اميركا الى الخارج في السنة المالية التي انتهت حديثاً ٧١١ مليون يرد منها ٤٩٨ مليوناً أُصدرت الى الصين و ١٣٣ مليوناً أُصدرت الى اميركا الجنوبية و ٢٥ مليوناً أُصدرت الى سائر اسيا

انتقاءُ بذرة القطن

بقلم المستر توماس ثورنتون مفتش الزراعة المتجول في جزائر الهند الغربية من قبل الحكومة الانكليزية

اصبحت مسأَلة انتقاء بذرة القطن من اهمّ المسائل الزراعية في جميع البلاد التي تزرع قطناً . اذ ما من زارع قطن الاَّ ويعلم شدَّة تأَثر نبات القطن من العناية او من الاهمال فقد ظهر بالاختبار ان العناية بهِ حسنت نوعهُ وكميتهُ في سنتين او ثلاث وان اهمالهُ في موسم واحد ذهب بما بذل من التعب عليهِ سنين طوالاً

وقد تقدمت الولايات المتحدة سائر البلدان في امر انتقاء البذرة . وفتح الزراع عيونهم لاختيار النباتات التي تفوق غيرها منذ أُدخل قطن السي ايلند اليها اي منذ اكثر من مئة سنة . فوجهوا همهم اولاً الى انتقاء النباتات التي تنضج قبل غيرها فتمكنوا بذلك من الحصول على نوع من القطن ينضج في وقت اقصر مما ينضج غيرهُ فيهِ . ثم جعلوا ينتقون بذوراً من النباتات ذات الشعرة الطويلة فتمكنوا الآن من الحصول على نوع يبلغ طول شعرتهِ بوصتين ونصف بوصة . ثم جعلوا ينتقون النباتات التي تفوق غيرها في هيئتها وقوة انتاجها ونعومة ملمس قطنها حتى تمكنوا من الحصول على نوع يباع الرطل منهُ بنصف ريال اي القنطار بالف غرش صاغ

وليس هذا التحسن مقتصراً على السي ايلند بل انهُ ظهر في الانواع الاخرى ايضاً فان كثيراً مما لهُ شعرة طويلة منها انما بلغ هذا التحسن بانتقاء البذرة · وقد تمكنوا ايضاً من الحصول على انواع اقوى من غيرها على مقاومة آفات القطن بانتقاء البذرة من النباتات السليمة النامية في حقول معظم ما فيها مصاب

ولم تهتمّ البلدان الاخرى اهتماماً يذكر بانتقاء بذرة القطن الّا حديثاً · فقد كانت العادة في الهند ومصر وسائر افريقية ان يشتري الزراع البذرة من معامل الحلج من غير ان يعرفوا شيئاً عن اصلها وفصلها · اما الآن فان جميع المكاتب الزراعية ترى اهمية انتقاء البذرة وتشدّد في ذلك ولا سيما في الهند الغربية ومصر وسائر افريقية وحذت الهند حذو هذه البلدان اخيراً · وعليهِ يؤمل ان ينتج عن ذلك قريباً نتائج ذات شان مهمّ في معظم البلدان التي تزرع القطن

اما طرق انتقاء البذرة فتختلف كثيراً . وابسطها انتقاء البذرة من الارض التي يباع قطنها باعلى الاسعار · وقد دلّت النتائج على ان قيمة البذرة تهبط سريعاً ولو اخذت من احسن المزارع ما لم تتبع طرق خصوصية لانتقائها · ففي الارض الواحدة ترى نباتات مختلفة الاوصاف بين ما شعرتهُ طويلة او قصيرة متينة او ضعيفة دقيقة او غليظة لمّاعة او غير لمّاعة . وكذلك تختلف في قوة انتاجها · فاذا كانت كلُّ نبتة تورث صفاتها لما يخرج من بذورها كما هو معروف فان البذور التي تؤْخذ من ارض واحدة مثل ما تقدَّم تخرج نباتات مختلفة الاوصاف وهذا الاختلاف يقلل قيمة القطن فلا بدَّ اذاً من التعويل على طريقة اخرى لانتقاء البذور غير اخذها من احسن المزارع

ومن الطرق البسيطة التي عمد بعض المزارعين اليها ان ينتدبوا رجلاً ذكيًّا ماهراً في زراعة القطن فيطوف في الارض التي زرعت قطناً ومعهُ جماعة من الرجال فاذا رأَى نبتة شعرتها طويلة ودقيقة وناعمة وقوية امر العمَّال الذين معهُ باخذ بذورها وهكذا حتى يجمع مقداراً منها

ومن اكثر البلاد اهتماماً بانتقاء البذرة الولايات الجنوبية التي يزرع السي أَيلند فيها · والمعوَّل في انتقاء البذرة هناك على امرين الاول انتقاء عدد من احسن النباتات والثاني انتقاء احسن البذور من ذلك الاحسن ثم تزرع البذور في اماكن خصوصية ليزيد مقدارها بحيث يكفي للزرع في المزارع · وكل سنة تنتقى احسن النباتات من هذه الاماكن الخصوصية وتزرع في اماكن خصوصية اخرى في السنة التالية

موسم القطن

اختلفت التقادير لموسم القطن المصري هذا العام ويرجح كثيرون انهُ لا يزيدُ على موسم العام الماضي وان زاد فالزيادة قليلة فيبلغ ستة ملايين قنطار وقد اختلفوا ايضاً في تقدير الموسم الاميركي فقدرهُ بعضهم ١١ مليون بالة فقط واوصلهُ غيرهم الى ١٣ مليون بالة وحدث في آخر الشهر انواء وزوابع في جنوبي اميركا يقال انها اتلفت خمس محصول القطن في ولاية مسسبي باميركا وقد كان محصول هذه الولاية سنة ١٩٠٤ نحو مليون وثمانمائة الف بالة اي نحو سبع المحصول الاميركي كلهِ ولا يعلم مقدار ما اصابهُ من الضرر تماماً لان التلغراف لم يعين الاماكن التي وقع الضرر فيها من هذه الولاية ولكن سعر القطن ارتفع حالاً بسبب هذا الخبر اكثر من نصف ريال. والاسعار الحاضرة للقطن المصري وهي من ٣٧٠ غرشاً الى ٤٠٠ غرش جيدة جدًّا فاذا بلغ المحصول ستة ملايين قنطار او اكثر قليلاً كما هو المرجح وباع التجار القنطار باربع مئة الى اربع مئة وعشرين غرشاً بلغ ثمن الصادر من القطن ٢٥ مليوناً من الجنيهات واذا اضفنا الى ذلك ثمن سائر الصادرات غير البزرة وهو نحو مليونين من الجنيهات بلغت قيمة الصادر الذي يشمل موسم هذا العام ما لم تبلغهُ في عام آخر

التعليم الزراعي العمومي

امام نظارة المعارف سبل كثيرة للاصلاح كما امام كل ارباب المدارس الابتدائية في هذا القطر ولكننا نظن ان اهم هذه السبل والزمها للبلاد ادخال التعليم الزراعي في المدارس الابتدائية اي مبادئ العلوم المتعلقة بعلم الزراعة كمبادىء علم الحيوان ومبادىء علم الطبيعة ومبادىء علم الكيمياء ومبادىء علم الفسيولوجيا. ولينظر في ذلك كلهِ الى ما يتعلق بالزراعة اي بتربية النبات والحيوان وتخصيب الارض وحفظ صحة الفلاحين والمواشي. واذا لم تجد نظارة المعارف وارباب المدارس الكتب اللازمة لذلك فلا يتعذَّر تأليف هذه الكتب وجعلها مقصورة على ما يلزم لزراعة هذا القطر فلا داعي مثلاً لان تكتب فيها فصول طويلة عن زرع الغابات ولا عن تربية الخنازير ولا عن عمل الجبن بل يقتصر فيها على اعمال الزراعة الشائعة في هذا القطر حتى يخرج منها ابن الفلاح وابن الشيخ وابن العمدة عارفاً اصول الزراعة الاولية فيطبق العلم على العمل وترتقي الزراعة في البلاد كلها. وهذا الامر جارٍ في فرنسا واميركا وغيرهما من البلدان الزراعية

باب الصناعة

قطرنة الطرق

لم يكد استعمال القطران للطرق يشيع في فرنسا حتى أُدخل القطر المصري · ففي العام الماضي قطرنوا ما مساحتهُ ١٥٠ الف متر مربع من طرق فرنسا فوجدوا نتيجة القطرنة على غاية ما يرام · وقد قطرنوا في الشهر الماضي والذي قبلهُ الطريق الواصل بين كبري قصر النيل والبنك الاهلي في القاهرة وهم ساعون الآن في قطرنة غيرهِ من الطرق كما قطرنوا طريق الرمل في الاسكندرية · ويظهر لنا ان الطرق المقطرنة تكاد تماثل الشوارع المرصوفة بالاسفلت من حيث استواؤُها ونظافتها وهي افضل من الشوارع المرصوفة بالاسفلت من حيث ليونتها لان الخيل لا تزلق عليها

وكيفية القطرنة ان ترصف الطريق جيدًا ويسوَّى سطحها بالحدل ثم يحمى القطران ويبسط عليها فيغور فيها ويتكوَّن منهُ ومن الطبقة السطحية جسم صلب لا يتحات بمر المركبات والدواب عليهِ ولا يتكوَّن منهُ الغبار وتقل الحاجة الى اصلاح الطريق

ويظهر من تقرير رئيس مهندسي الطرق في فرنسا ان الطرق المقطرنة تقلُّ نفقات اصلاحها ورشها وكنسها بما يساوي اكلاف القطرنة ويتوفَّر للحكومة مليمان لكل متر مربع من الطرق فالطريق الذي طولهُ كيلومتر وعرضهُ عشرة امتار تقلُّ نفقاتهُ عشرين جنيهًا في السنة اي تتوفر نفقات القطرنة وعشرون جنيهًا فوقها

الَّا ان الطريقة التي جروا عليها في القاهرة وهي تسخين القطران على النار وصبهُ وبسطهُ باليد ليست الطريقة الفضلى لان القطران يحترق احيانًا من تسخينهِ على النار · وقد استنبطوا مركبة تسخن القطران بالبخار ثم تصبهُ على الطرق وتمزجهُ بها · والمركبة الواحدة تقطرن في الساعة الواحدة ما مساحتهُ الفا متر مربع فعسى ان تهتم مصلحة التنظيم بجلب هذه المركبات وقطرنة كل طرق العاصمة والاسكندرية لان ذلك يوفر في اصلاح الطرق وكنسها ورشها

لستك صناعي

يزيد استعمال اللستك (الكاوتشوك) في الصناعة سنة فسنة الى حدّ ان بات المستعمل منهُ في الصنائع المختلفة كلّ سنة يساوي المستخرج من اشجارهِ . فان ما يستخرج منهُ سنوياً يختلف بين ٦٠ و ٧٠ الف طنٍ وفي سنة ١٩٠٤ بلغ ما استعمل منهُ في الصناعة ٦٠ الف طنٍ . ولا بدَّ ان يزيد المستعمل هذه السنة على المستخرج بسبب تقدم صناعة الاوتوموبيل وزيادة استخدام الكهربائية في الاعمال المختلفة ولا غنى عن اللستك فيها كما لا يخفى . وعليهِ جعل اصحاب الشأن يفكرون في تدبير طريقة لحلّ هذه المشكلة فاقترح المسيو كوسته الفرنسوي ثلاثة امور : الاول استخدام اللستك المعدني الذي اكتشف سنة ١٧٨٥ في مناجم كاسلتون بانكلترا وسنة ١٨١٦ في ضواحي انجه بفرنسا وهو نوع من القار المتحجّر . والثاني استخدام مركّب صناعي يشبه اللستك الطبيعي في خواصّهِ وقد صنعهُ رجلان صيدليان سنة ١٨٤٦ من زيت بزر الكتان والحامض الازوتيك وسمي بالفرنسوية “Caoutchouc des huiles” اي اللستك الزيتي وهو يستعمل الآن طلاءً للمنسوجات كالمشمع فلا يعود الماء ينفذها . وصنع غيرهما لستكاً صناعياً من الزفت او زيت التربنتينا والحامض الكبريتيك . والثالث زيادة محصول اللستك الطبيعي بزيادة العناية بزرعهِ وحرثهِ وهذه الطريقة ابطأ الطرق الثلاث

اختراع مسواك

كان رجل اميركي يجتاز مستنقعاً في ولايات اميركا الجنوبية وهو راكب حصانهُ فقطع قصبة جعل منها سوطاً واتفق انهُ فصل شظية صغيرة منها لينظف بها اسنانهُ فوجدها متينة مرنة فخطر ببالهِ انها تصلح لعمل المساويك فنال امتيازاً وبنى معملاً خاصاً بعملها . وفي بلاد العرب شجر الاراك يؤْتى بعيدانهِ الى هذا القطر يستاك بها فتطيب نكهة الفم وقد اخذ رجل اميركي يعمل المساويك منها فيقطعها قطعاً صغيرة تمسك القطعة منها بملقط فضي ويستاك بها فتنظف الاسنان وتطيب نكهة الفم وهي كالفرشاة الصغيرة وكلما اتسخت واحدة منها نزعت من الملقط ووضع فيهِ قطعة غيرها وقد قال لنا صانع هذه المساويك انها تقوي اللثة والاسنان وهو طبيب مشهور من اطباء الاسنان

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

نقد الشعر

لا ريب في ان الجرائد والمجلات هي الوُصَلُ الوحيدة بين ابناء البلاد المتباينة وكان يستحيل قبل وجودها ان يعرف اهل الصين ما يجري في اندية امريكا او يعلم سكان اوربا ما يقع في جزائر اليابان. ولقد كان يتعذَّر على اقدر الناس مالاً وجاهاً ان يتنسم خبر بلدٍ ما او يعرف حركتهُ العلمية والادبية اما الآن فانك ترى العراقي مثلاً يعرف ادباءَ القاهرة وكتابها واحداً واحداً الاَّ من خمل ذكرهم ومن كان لهم مانع من نشر نفثات اقلامهم ولكن المصري لا يعرف من ادباءِ العراقيين الاَّ من كان لهُ نصيب من كتابة المجلات لان بلاد العراق محرومة منها واذا لم تكن للصحف ثمة مزية الاَّ هذه — كونها الوصل الادبية — لكانت كافية لرفعة شأنها وعلو مكانتها

وكم رأينا على صفحات "المقتطف" المفيد اسماءَ ادباءَ من بلد نحن فيهِ ولكننا لا نعرف اشخاصهم وادباءَ من بلادٍ لا نعرفها الاَّ في كتب تقويم البلدان وطالعنا لهم فصولاً وقصائد كنا نعجب بها غاية الاعجاب ومن ذلك قصيدة للشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي المشهور بادبهِ الرائع وشعرهِ المنسجم قرأناها في "مقتطف" مايو ولكن ذاكرتنا كانت تنبَّه الى معانٍ منها كأنها من محفوظاتها فعللنا ذلك بان الانسان اذا القي على سمعهِ شيءٌ ثابت مقرر بفقرة لا يعاني كدَّ مخيلتهِ في فهمها رابهُ ذلك الشيء وظنهُ من منسياتهِ ولقد انصرم مايو ويونيه ويوليه واغسطس الاَّ اقلهُ وبعض تلك القصيدة راسخ في ذهننا وذلك من اعجابنا باسلوبها الرشيق وسبكها الرصين وفي اثناء هذا الشهر (اغسطس) الذي يلجئُ المرءَ الى ترك القلم والكتاب معاً وقع في

يدي ديوان الفيلسوف العربي ابي العلاء المعري فرأَيت فيهِ قصيدة يرثي بها ابن المهذب هي وقصيدة المنفلوطي من بحر واحد وقافية واحدة وروي واحد ومطلع تلك القصيدة :

احسنُ بالواجد من وجدهِ صبرٌ يعيد النار في زندهِ

راعني من قصيدة المعري ما راعني من قصيدة المنفلوطي فجئت بالثنتين وقابلت بينهما فوجدت اربعة ابيات من قصيدة المعري تضارع اربعة ابيات من قصيدة المنفلوطي فعند ذلك جزمت بان ابيات المنفلوطي او بعضها مأْخوذة من ابيات المعري واليك ابيات الشاعرين :

المعري	بلحظة منهُ فما دونها	يردُّ غرب الجيش عن قصدهِ
المنفلوطي	اقمتهُ كالطود في هضبة	ترد عادي الدهر عن قصدهِ
المعري	فبات ادنى من يد بيننا	كأَنهُ الكوكب في بعدهِ
المنفلوطي	اطلعت فيهِ كوكبًا دانيا	اغنى عن الشاسع في بعدهِ
المعري	يا دهر يا منجز ايعادهِ	ومخلف المأمول من وعدهِ
المنفلوطي	وان هذا الدهر في هزلهِ	يغر بالكاذب من وعدهِ
المعري	امسَ الذي مرَّ على قربهِ	يعجز اهل الارض عن ردهِ
المنفلوطي	كشارب الكاس يرى عابسًا	منهُ ولا يقوى على ردهِ (١)

بعد ان قابلت هذه المقابلة بين كلام الشاعرين عذلت المنفلوطي لتشويههِ احاسن كلامهِ بما يقع لهُ فيهِ احيانًا — من غير تعمد فيما اظن — من معانٍ في شعر غيرهِ تمتزج بشعرهِ او عجز بيت لسواهُ يلتئم مع صدر بيت لهُ كما مرَّ عليك والمنفلوطي — فيما ارى — غني عن ذلك فان قصيدتهُ الدالية هذه من احسن ما قيل في معناها وليس فيها عيب الاَّ ما ورد على القارىء من انتزاع بعض معانٍ من قصيدة ابي العلاء المعري

كتبنا هذه الكلمات ويقيننا ان المنفلوطي يتقبَّلها بقبول حسن لان مثلهُ يأْبى المكابرة ولا يستنكف عن المذاكرة سيما اذا كانت صادرة من مخلص مثلي معجب بآدابهِ مثنٍ على اجتهادهِ متمنٍ لهُ التقدم والفلاح

القاهرة ٢٤ اغسطس حسين وصفي رضا

---

(١) لقد اوقعت القافية الشاعر في الخطاءِ فانهُ ذكر الكأْس وتذكير الكأْس غلط محض قال ابن سيده في الجزء السابع عشر من المخصص (ص ٥) تحت عنوان : ومما يؤنث من سائر الاشياء ولا يذكر : "والكأْس مؤنثة وهي الاناءُ بما فيهِ"

سعادة الدنيا

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

تلوتُ ما كتبهُ حضرة العالم الحكيم الدكتور ورتبات عن سعادة الدنيا في الجزء الماضي فالفيتهُ يثبت وجود السعادة في الدنيا ويقول انها تحصل بامرٍ من اربعة امور بنيل ما يسعى الانسان اليهِ وبزوال ما يكره الوقوع فيهِ وبالقناعة والرضى وبطاعة النواميس الطبيعية

وهذا كلهُ صحيح فان الانسان يسرُّ بنيلهِ الغاية التي يسعى اليها وبتخلصهِ مما يكره الوقوع فيهِ وبقناعتهِ بما يمكن الحصول عليهِ من غير مشقَّة كثيرة وبطاعتهِ نواميس وجودهِ . ولكن هذا السرور لا يدوم لهُ الَّا اذا كان في طبعهِ فان طالب المال يقصد كسب الف دينار ويحسب ان السعادة تتمُّ لهُ اذا كسبها او يقصد ان يزيد راتبهُ ويبلغ خمس ماية دينار في السنة حاسباً انهُ يبلغ حينئذٍ الغاية القصوى الكافية لمعيشتهِ بالراحة والرفاهة لكنهُ اذا كسب الف الدينار او صار راتبهُ خمس ماية فالغالب انهُ يسرُّ اولاً ثم تزيد رغبتهُ في طلب المال فلا يعود يقنع بعشرة آلاف دينار مكسباً ولا بالف دينار راتباً لانهُ يجد لهُ حاجات اخرى لم يكن يشعر بها قبلاً ولا ابالغ اذا قلت ان طمعهُ يزيد على مقدار ما ينال من الاغراض التي يسعى اليها هذا هو الغالب

والذي يتألم ويتململ من حالة هو فيها يسرُّ حالما ينجو منها ولكنهُ ينسى ذلك غالباً ولا يبقى اثر لسرورهِ فالذي يشفى ينسى انهُ كان مريضاً والذي يغتني ينسى انهُ كان فقيراً والذي يشبع ينسى انهُ كان جائعاً فتزول اللذة كما جاءَت

والذي يطيع النواميس الطبيعية قد يسرُّ وقد لا يسرُّ فاننا نرى كثيرين من اشد الناس تدقيقاً في حفظ الشرائع الدينية والجري بموجب النواميس الطبيعية وهم مع ذلك في بحر من السوداء والهم والغم يقلقون لاقل سبب لا يقلق لهُ غيرهم ويحملون احمالهم من الهموم واحمال سائر الناس

ولا يخفى على استاذنا الدكتور الفاضل ان الرجل الواحد الذي يسرُّ بكل ما ذكرهُ من اسباب السرور يأكل لقمة فوق الشبع او يتعرَّض للبرد دقيقة فيسوءُ هضمهُ ويزول سرورهُ وتسودُّ الدنيا في عينيهِ ولا يعود يسرُّهُ شيءٌ

فلماذا لا نقول ان اللذة والالم او السعادة والشقاوة حالتان طبيعيتان متوقفتان على امزجة

الناس فمنهم من مزاجهُ صفراوي وطبعهُ شكس لا يسرُّهُ السرور ولا يرضيهِ الرضى ولا تراهُ الَّا عابساً مغتاظاً من الدنيا، ومنهم من مزاجهُ لمفاوي او دموي وخلقةُ رضي فيرضى بكل شيءٍ ولو بكسرة من الخبز ويطرب لكل شيءٍ ولو لكلمة طيبة

وقد يأتي الطبع الرضي بالصناعة كما هو بالطبيعة فمتعاطي الافيون او الحشيش يحسب نفسهُ ملك الملوك وسلطان السلاطين وهو تحت فعل الافيون او الحشيش. لقيتُ حشَّاشاً من هؤُلاء ذات يوم فالتفت اليَّ وقال لي انظر كل هؤُلاء فانهم خدمي وعبيدي وبضربة واحدة بسيفي اقطع رؤُوسهم ثم مدَّ يدهُ وبسط كفهُ وأَلاحها من اليسار الى اليمين كمن يضرب بالسيف وقهقه وكاد يقع على ظهرهِ من الضحك

وان قلنا ان هذه الحالة مرَضيَّة لا يعبأُ بها قيل لنا لو اصطلح الناس كلهم على تدخين الحشيش كما يدخنون التبغ لكان سرورهم وهم تحت فعلهِ هو الغالب ولا اقول ذلك تنويهاً بذكر الحشيش وامثالهِ بل ايضاحاً للموضوع الذي نحن فيهِ

والذي اراهُ انهُ اذا امكننا ان نقيس اوقات السرور ودرجاتهِ وجدنا سببهُ الاكبر طبيعياً في مزاج الانسان ويتلوهُ الاسباب التي تفعل باعصابهِ فتسكنها وتمنع قلقها كالتبغ والافيون والحشيش. والراحة بعد التعب. والنوم بعد النعس. والشبع بعد الجوع. ولذلك يحدث السرور والكدر للناس الذين شرائعهم الدينيَّة والادبية مثل شرائعنا وللناس الذين شرائعهم الدينيَّة والادبيَّة مخالفة لشرائعنا او مناقضة لها. فالكاهن من كهنة المكسيك كان يسرُّ بشق صدر الاسير بضربة واحدة ونزع قلبهِ وهو يخفق ودفعهِ امام معبودهِ كما كان الكاهن اليهودي يسرُّ بذبح الحمامة ورش قرون الهيكل بدمها وكما كان الاب زڤيير يسرُّ بوضع يدهِ في الماءِ وترطيب جبهة المريض الهندي بها حاسباً انهُ عمَّدهُ فنجَّاهُ من الهلاك. ورائحة اللحم المحروق التي كان بنو اسرائيل يسرون بها في هيكلهم ويعتقدون ان الله يسرُّ بها ايضاً حتى سموها رائحة سرور نحسبها نحن من الروائح الكريهة ونلوم الطباخ اذا فتح باب المطبخ وهو يشوي اللحم لئلاَّ تنتشر رائحتهُ في البيت وعليهِ فالميل الى السرور او الى الكدر خلقيان طبيعيان واسبابهما طبيعيَّة في الغالب

هذا ما اردت بيانهُ على سبيل الاستفادة لا على سبيل الاعتراض راجياً من حضرة استاذنا الفاضل ان يلقي نظرهُ عليهِ ويجيب بما فيهِ فصل الخطاب

احد تلامذتهِ

قواعد للمسلولين

وهي المعوَّل عليها في المستشفيات الانكليزية وملاجيء الصحة

حاجاتك العظمى ثلاث وهي الهواءُ النقي والراحة والطعام الجيد

اما الهواءُ النقي فلا يمكن ان يزيد عن الحاجة . ولا بد من قضاء ثماني ساعات على الاقل خارج المسكن في الهواء المطلق . ومتى كنت داخلهُ فليكن الهواءُ فيهِ كما هو في الخارج ما امكن وذلك بفتح الشبابيك نهارًا وليلاً ولا تنم الاَّ وهي مفتوحة ولو كان الطقس باردًا . ومجرى الهواء في الغرفة اقل خطرًا مما اذا كان الهواءُ محصورًا . اجتنب الاماكن المزدحمة بالناس

الراحة . الحركة العنيفة مضرة للمصابين بالسل والناقهين منهُ والواجب عليهم ان يجلسوا او يضطجعوا خارج المنزل بضع ساعات كل يوم ملتفين بالثياب اذا كان الطقس باردًا . ثم اذا تقدموا الى الصحة مشوا مشيًا خفيفًا يزيدونهُ تدريجًا . اذا ارتفعت الحرارة فوق ١٠٠ درجة ف فهو دليل على وجوب الراحة واذا كانت طبيعية تزاد الرياضة . الركض والوثب والعمل العنيف والتعرض للغبار ممنوعة . الراحة التامة قبل الطعام وبعدهُ تفيد

الطعام . طعام المريض كطعام الصحيح ثلاث مرات كافية كل يوم . ليكن الاكل على مهل والكمية ما تعودها المريض ولو لم يكن جائعًا وليشرب ما امكن من اللبن (الحليب)

احتياطات من العدوى

النفث هو الحامل لجراثيم السل واكثر ضررهِ اذا جفَّ وتطاير في الهواء وامتزج بغبار المنزل . ويبصق في مبصقة فيها شيءٌ من مضادات الفساد ويُطرح ما فيها الى النار وتغسل بالماء الحارّ . وتغسل المناديل بالماء الغالي كل يوم

لا يجوز تقبيل المريض في شفتيهِ

اذا عمل بهذه الاحتياطات وكانت غرفة المريض نظيفة معرضة للهواء والنور فقلما يكون هناك خطر من العدوى . ويجوز نوم الصحيح في غرفة المريض ولكن لا في الفراش معهُ

من " المجلة الطبية الانكليزية " (تموز ٢٨ — ١٩٠٦)

فيظهر مما سبق ان ليس العدوى بالسل بالكثرة التي غالى فيها الكثيرون . واذا حوفظ على الاحتياطات المذكورة كان الخطر قليلاً جدًّا لا يجوّز الهول العظيم الذميم

يوحنا ورتبات

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) مستحلب سكوت

المطرية بالدقهلية . حسين افندي عبد الفتاح الجمل . ما حكمكم على مستحلب سكوت وهل هو مفيد لمن كان غير مريض وتعاطاهُ لتقوية جسمهِ

ج هو مفيد جدًّا للاولاد والضعاف البنية ولا يضر الاصحَّاء ولكنهم قلما يحتاجون اليهِ . والانسان الذي يستطيع ان يغتذي الاغتذاء الكافي من الاطعمة العادية خير لهُ ان يقتصر عليها لانهُ اذا عوَّد جسمهُ الاطعمة الخصوصية الكثيرة الغذاء التي لا يحتاج هضمها الى تعب كثير تدلَّل الجسم كثيرًا وصار يصعب عليهِ ان يستمدَّ غذاءهُ من الاطعمة القليلة التي يحتاج هضمها الى تعب كثير

(٢) المزاج العصبي والسمن

الاسكندرية . محمود افندي الشاعر . أحقٌّ ما يقال ان ذا المزاج العصبي لا يسمن وما سبب ذلك

ج هذا هو الغالب وهو حالة طبيعية موروثة في الجسم والظاهر ان شدَّة تأثر الاعصاب في اصحاب المزاج العصبي تنبه اعضاء الجسم الى اخذ كفافها من الغذاء وطرح ما زاد على ذلك او حرقهِ بالحركة المستمرة فاذا امكن تسكين الجسم حتى تقل حركتهُ او تنقطع تراكم الغذاء فيهِ وسمن كما يحدث للطيور الكثيرة الحركة فانها تكون نحيفة فاذا منعت عن الحركة واطعمت دوامًا كما يُصنع بالفراخ في بعض البلدان سمنت جدًّا

(٣) اعراض السلّ

ومنهُ . ما هي اعراض داء السل

ج الهزال والحمى الخفيفة المسماة حمَّى الدق والسعال والنفث وعرق الليل والصوت الخاص بهِ وقت الاستقصاء بالقرع وادلُّ دليل عليهِ وجود ميكروب السل في نفث المصاب

(٤) الوقاية منهُ

ومنهُ . ما هي الطرق التي يتَّقى بها هذا الداء الوبيل

ج عدم تنفُّس هواءٍ تطايرت فيهِ الجراثيم من نفث المسلولين فالمسلولون انفسهم م المكلفون وقاية غيرهم من ان تصل العدوى اليهم وذلك بان يطرحوا نفثهم في قناني فيها سائل سام يميت ميكروب السل او في اوراق عدَّة لذلك وحرق هذه الاوراق . ولا تطير الجراثيم من النفث الاَّ بعد ما يجفَّ ولكن اذا عل المسلول فقد تتطاير نقط صغيرة من ئتهِ في الهواء ويكون فيها ميكروب السل تلوثهُ فعليهِ ان يضع منديلاً امام فمهِ حينما يسعل لئلاَّ يتطاير نفثهُ في الهواء واذا كان المسلول نفسهُ لا يهتم بمنع العدوى عن غيرهِ بعسر جدًّا ان يتقي الناس العدوى ولكن لا يعدى منهم الاَّ من رئتاهُ ضعيفتان او جسمهُ معرَّض لداء السل . ويصيب السل الاطفال احيانًا من شربهم لبنًا من بقر مصابة بالسل ولكن ذلك قليل فلا يعتدُّ بهِ كثيرًا وعلى كل حال لا يحسن شرب لبن البقر المصابة بالسل ولا بدَّ من اغلاء اللبن بل شربهِ لئلاَّ يكون فيهِ ميكروب السل او يكروب غيرهِ من الامراض . وقد جاءتنا بعد كتابة ما تقدَّم رسالة في موضوع الوقاية ن السل نشرناها في هذا الجزء في باب المراسلة فلتراجع فيهِ

(٥) تخفيف وطأَتهِ

ومنهُ . ما هي الوسائل التي تخفف وطأَة السل

ج الراحة التامة والغذاء الكثير والسكن في الاماكن الجيدة الهواء

(٦) الولع بخدمة الحكومة

ومنهُ . هل الولع بخدمة الحكومة خاص بالمصري

ج كلاَّ بل الناس يتهافتون على وظائف الحكومة في كل مكان لانهم يجدون فيها راحةً ورفعة قدرٍ

(٧) كتابان

مصر . محمد افندي زكي صالح . اين يباع كتاب التربية لسبنسر وتاريخ جبون وما ثمنهما

ج هذان الكتابان يباعان في كل المكاتب الانكليزية وثمن الاول منهما نحو ستة شلنات وثمن الثاني جنيه الى جنيه ونصف

(٨) مجلة للتعليم

ومنهُ . ما هي احسن مجلة تبحث في التعليم وما قيمة اشتراكها وعنوانها

نظن ان احسن مجلة للتعليم عند الانكليز "Educational Times" وهي شهرية وقيمة الاشتراك فيها ٨ شلنات في السنة وتطلب من كل باعة الكتب

(٩) الولايات الهندية الخارجة عن حكم الانكليز

المنصورة . محمود بك نصير . كم عدد الولايات الخارجة عن حكم الانكليز في الهند وكم عدد سكانها

ج عددها ١٣ ولاية وعدد سكانها نحو ٦٣ مليونًا من النفوس وهي هذه حسب احصاء سنة ١٩٠١

	عدد سكانها
حيدر اباد	١١ ١٤١ ١٤٢
بارودا	٠١ ٩٥٢ ٦٩٢
ميسور	٠٥ ٤٤٨ ٩٢٣
كشمير	٠٢ ٩٠٥ ٥٧٨
راجبوتانا	٠٩ ٨٤١ ٧٩٥
الهند المتوسطة	٠٧ ٦٢٨ ٧٨١
ولايات بمباي	٠٦ ٧١٩ ٤٦٦
ولايات مدراس	٠٤ ١٨٦ ٩٦٧
ولايات المديريات الوسطى	٠١ ٩٩٦ ٣٨٣
ولايات بنغالا	٠٣ ٧٤٨ ٥٤٤
ولايات بنجاب	٠٤ ٤٢٤ ٣٩٨
„ „ العليا	٠٠ ٨٠٢ ٠٩٧
بلوخستان	٠١ ٠٤٩ ٨٠٨
والجملة	٦٢ ٩٦٤ ٠٤٩

وهي مستقلَّة في ادارتها الداخلية لكن الحكومة الانكليزية تسود عليها من بعض الوجوه وسياستها الخارجية في يد الحكومة الانكليزية ايضًا

(١٠) عدد المسلمين في الهند

ومنهُ . كم عدد المسلمين في بلاد الهند

ج ظهر من احصاء سنة ١٩٠١ ان عددهم ٠٦٢ ٤٥٨ ٠٧٧ اكثرهم في بنغالا فان فيها منهم ٢٥ مليونًا ونصف مليون وفيها من الهنود البراهمة نحو خمسين مليونًا. وفي ولاية بنجاب فان فيها من المسلمين ١٢ مليونًا ومن الهنود البراهمة عشرة ملايين ومن السيخ مليونان . وفي اغرا واودو نحو عشرة ملايين من المسلمين و ٤١ مليونًا من الهنود البراهمة

(١١) عدد اصحاب الاديان المختلفة

ومنهُ . كم عدد المسلمين في العالم

ج ان عددهم حسب تقويم الدكتور زلر الذي صدر حديثًا نحو ١٧٥ مليونًا وعدد اصحاب الاديان كلها حسب هذا التقويم هكذا

عدد المسيحيين	٠٥٣٤ ٩٤٠ ٠٠٠
„ اتباع كنفوشيوس	٠٣٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
„ البراهمة	٠٢١٤ ٠٠٠ ٠٠٠
„ المسلمين	٠١٧٥ ٢٩٠ ٠٠٠
„ اليهود	٠٠١٠ ٨٦٠ ٠٠٠
„ اتباع بقية الاديان	٠١٨٨ ٤٢٠ ٠٠٠
والجملة	١ ٥٤٤ ٥١٠ ٠٠٠

لكننا نرجح ان في افريقية شعوبًا كثيرة تدين بالاسلام فيصير بها عدد المسلمين اكثر من مئتي مليون

باب الاخبار العلمية

المجمع الطبي البريطاني

عقد المجمع الطبي البريطاني جلساتهِ هذه السنة في مدينة تورنتو بكندا بين ٢١ و٢٥ اغسطس الماضي فقرأ الاستاذ ماك جيل رسالة في النواة المركزية التي في الاجسام الحية وابان خواصها ووظائفها وقرأ الدكتور فورد من جامعة جونس هبكنس رسالة في ترياق سمّ الفطر. وقرأ الدكتور كاوس عدة رسائل في السرطان قال فيها انهُ لقح الفيران بمادتهِ فوجد ان بعضها كان يشفى من نفسهِ غالباً بعد اللقاح . وايد الدكتور باشفورد من لندن هذا القول وزاد عليهِ انهُ ليس هناك من دليل يدلُّ على ان داء السرطان يتكاثر ولا انهُ خاصٌّ ببلد دون آخر. وانهُ ليس مرضاً معدياً لانهُ لم يتمكن من اعداء السليم بهِ بمجرد اللمس . وقرأ الدكتور روفر (رئيس مجلس الصحة والكورنتينات في الاسكندرية) رسالة فصّل فيها حدوث مكروبات لا تختلف عن مكروبات الكولرا في اشخاص لم يصابوا بالكولرا. وتناقش بعض الاعضاء في البروتييد (المادة المغذية في اللحم ونحوهِ) والمقدار اللازم منهُ لقوام الجسم فقال الاستاذ تشتندن من مدرسة يايل الجامعة ان نصف القدر الذي يظنُّ عادة انهُ لازم لحفظ التوازن الفسيولوجي في الجسم — كافٍ لهذا الغرض فخالفهُ الاستاذ هوليبرتن وقال ان التجارب لا تؤيد هذا القول وان القدر الذي يظنهُ الاستاذ تشتندن كافياً لقوام الجسم لا يبقي منهُ "قوة احتياطية" تدفع الامراض عن الجسم . فاذا تناول الانسان من البروتييد اكثر مما يلزم لحفظ التوازن الفسيولوجي في جسمهِ فربما كان في ما يذخرهُ الجسم منهُ مادة تولد تلك القوة الاحتياطية التي يستنصرها عند إغارة الادواء والعلل عليهِ . وقال الدكتور روبرت هتشيسن ان هذه المسألة لا تحلُّ الَّا بتعاون الفسيولوجيين والاطباء على حلها . فان الامر الذي نريد تقريرهُ هو ايُّ قدر من البروتييد لازم لحفظ التوازن الفسيولوجي في الجسم على افضلهِ لا ما هو اقلُّ قدر يلزم منهُ لحفظ قوام الجسم. فان الانسان يعيش برئة واحدة وبكلية واحدة ولكن وجود رئتين وكليتين في جسمهِ افضل لهُ. وزيادة البروتييد في الجسم بزيادة

الغذاء تفيد كثيرًا في الشفاء من السلّ وضعف الاعصاب

تذكار الفيلسوف سبنسر

كتب بعضهم منذ مدة عريضة وارسلوها الى اسقف كنيسة وستمنستر في انكلترا يستأْذنونهُ في وضع لوح فيها ينقشون عليهِ تاريخ حياة سبنسر وتأْثير مؤَلفاتهِ تذكارًا لهُ . وامضى العريضة كثيرون من رجال العلم والادب منهم اللورد اڤبري والسر ميخائيل فوستر والمستر فرنسيس غلتن والسر جوزف هوكر . فرفض الاسقف طلبهم لغير سبب معروف . ومضى على ذلك زمان ثم قامت جريدة الديلي كرونكل حديثًا تهتمُّ بهذا الامر وطلبت من الاسقف المشار اليهِ ان يعيد نظرهُ فيهِ فاذا اصرَّ على رفضهِ بحثت في مشروع آخر يحيي بهِ ذكر سبنسر

اما غير العلماء الذين تقدم ذكرهم فيختلفون رأْيًا في احياء ذكر سبنسر . فالسر نورمان لكيَر الفلكي المشهور يرى انهُ لا يستصوب اقامة تذكار وطني لسبنسر بالاكتتاب العمومي ما دام دارون لم يقم لهُ تذكار وطني خارج الكنيسة المذكورة . واللورد كلفن يقول "انهُ لم يكن من رأْيي في زمن من الازمنة ان كتابات سبنسر الفلسفية لها من القيمة والاهمية ما نسبهُ اليها كثيرون من العلماء . فلا يليق اقامة تذكار وطني لهُ في رأْيي" وهذا رأْي السر وليم هجنس ايضًا ولكنهُ يستصوب وضع لوح في كنيسة وستمنستر تذكارًا لهُ . ويرى آخرون ومنهم الدكتور ووليس ان تطبع كتب سبنسر طبعة رخيصة بحيث يستطيع اقتناءَها كلُّ المعجبين بهِ وربما اشترك الاجانب في ذلك ايضًا

حمّى الملاريا في اليونان

يذكر القراءُ اسم رونلدروس وهو الذي اكتشف علاقة البعوض بالحمى الملارية وانتدب لدرسها في الاسمعيلية فجاءَها واشار بردم مستنقعاتها فتحسنت الحالة الصحية فيها وكاد كلُّ اثر للملاريا يزول منها . وقد انتدب لمثل هذه المهمة في بلاد اليونان فاتمها على تمام المرام وخطب في الشهر الماضي خطبة في وليمة أُدبت في لڤربول اكرامًا للاستاذ ساڤاس من كلية اثينا . فقال انهُ ذهب الى بلاد اليونان في مايو الماضي فرأَى الحال فيها سيئة جدًّا فان الاهالي يسكنون الاودية لتعذُّر السكن فى الجبال . والاودية كثيرة الحمى الملارية . وقد دلَّت الاحصاءات ان سكان اليونان يبلغون مليوني نفس ونصف مليون على وجه التقريب وان الذين يصابون بالملاريا منهم كل سنة يبلغون ربع مليون (اي عشرة في المئة) والذين يموتون بها ١٧٦٠ نفسًا . وقد زادت الاصابات بها زيادة عظيمة في السنة الماضية

حتى بلغ عددها ٩٦٠٠٠٠ وبلغ عدد الوفيات ٥٩١٦

ومن رأيهِ ان هذه الحمى اضرَّت كثيرًا بعمران بلاد اليونان قديمًا وانها دخلت اليها او زادت فيها ايام جعل اليونانيون يأتون باهالي اسيّا الى بلادهم

انخساف انكلترا

عرف منذ عهد بعيد ان البحر يعلو على انكلترا رويدًا رويدًا بدليل ان كنيسة كانت في عهد هنري الثامن (القرن السادس عشر) بعيدة عدة اميال عن شاطيء البحر فبانت الآن خرابًا والامواج تلاطم جدرانها وليس ذلك غورًا حقيقيًّا بل انهُ لما كانت شطوط انكلترا موَّلفة من الصخور الدلغانية والكلسية وغيرها من الصخور اللينة فان الامواج توَّثر فيها تأْثيرًا عظيمًا فتحتها وتفتها. وعليهِ فُقد بذلك مساحة واسعة من الاراضي الزراعية وخسرت مدن الساحل خسارة باهظة . وكثيرون من الشيوخ يذكرون قرًى كانت في صبوتهم زاهية زاهرة فامست الآن والماءُ يغمرها على عمق قامات كثيرة وعلى بعد اميال من الشاطيء داخل البحر

ومتى اشتدت الانواءُ كثر الحتُّ والفتُّ الى درجة نبهت الخواطر فعين مجلس النواب الانكليزي لجنة لدرس هذه المسأَلة وابداء الاراء في ما يمكن عملهُ لتخفيف الضرر نعم انهُ لا يخشى من انخساف انكلترا في زمان قصير ولكن مما لا ريب فيهِ ان الخسارة عظيمة من حت الامواج للشواطيء وخصوصاً الجنوبية والشرقية . فقد قدروا ان مساحة الاراضي التي اكلتها الامواج والتيارات مدة الف سنة اي من سنة ٩٠٠ الى ١٩٠٠ تبلغ نحو ٥٥٠ ميلاً مربعاً . ولكن يد الصناعة تُكسب البلاد في جهات اخرى من ردم الاراضي الغامرة ما يعوضها مما تخسرها يد الطبيعة

ادمغة الزنوج

كتب الدكتور بين مقالة في احدى المجلاَّت الانكليزية موضوعها " أَدمغة الزنوج " دحض فيها المذهب القائل بان البيض والسود من أَصل واحد . فأَبان اولاً ان دماغ الرجل القوقاسي اكبر من دماغ الزنجي ومختلف عنهُ في الشكل وفي مقدار المادة السنجابية التي فيهِ (فهي اكثر في ادمغة الجنس الابيض منها في ادمغة غيرهِ من طوائف البشر) . ثم قال " ان الرجل الابيض والرجل الاسود متضادان في الامور الجوهرية . فمقدم الدماغ في الابيض اكبر منهُ في الاسود . ومؤخر الدماغ في الاسود اكبر منهُ في الابيض . والاول اعظم عقلاً وفكرًا والثاني اعظم تأَثرًا بالانفعالات النفسانية . والاول اكثر ميلاً الى التسلط

وضبطاً لاهواء النفس والثاني اكثر انقياداً وذلاًّ واقلُّ كبحاً لجماح الاهواء اذا أُثيرت . والاول عنوان التقدم والثاني عنوان التأَخر . وهما طرفا نقيض في سلم الارتقاء . فمحاولة تثقيف الاثنين على منوال واحد غباوة محضة ولو كنَّا نرى بعض الزنوج سامين في مداركهم العقلية

اصل الانسان

اكتشف المسيو دوبوى احد مشاهير علماء الحيوان منذ عدة سنوات عظمة فخذ وعظام جمجمة في جزيرة جاوى تشبه عظام الانسان والسعدان كما ذكرنا في حينهِ . فتحدث العلماء كثيراً بهذا الاكتشاف ظنًّا منهم ان الحيوان الذي بقيت من آثارهِ انما هو الحلقة المفقودة المنشودة وبناءً على ذلك سمَّى العالم شوالبي هذا الحيوان اسماً لاتينياً طويلاً معناهُ السعدان الانساني المنتصب . وتبين من فحص العظام انها بقايا حيوان عظيم القامة كان يتسلق الاشجار ويعيش معظم عمرهِ فيها وانهُ كان ناطقاً كالانسان . ولكن قام الاستاذ كولمان الالماني من علماء التشريح حديثاً وكتب مقالة ضافية في هذا الموضوع قال فيها انهُ وان يكن اكتشاف تلك العظام ذا شأن عظيم في علم الاحافير الاَّ ان الحيوان الذي بقيت منهُ ليس ابا الانسان بل قرد لا يختلف في صفاتهِ وعاداتهِ عن القرود المعروفة مثل الشمبانزي والغورلاً والاوران اوتنغ . ومن رأْيهِ ان الحيوان الذي تسلسل الانسان منهُ رأْساً ليس من القرود العظيمة القامة المسطحة الجمجمة بل من السعادين الصغيرة الجسم الواطئة في سلّم الحيوانات . فمن هذه تسلسل الاقزام الذين سكنوا الارض قبل زمان التاريخ . ومن الاقزام تسلسل الناس

بحر غريب

في الاوقيانوس الاتلنتيكي قطعة من الماء على شكل مثلث زاويتهُ الواحدة عند جزائر ازورس (نصف الطريق بين انكلترا وكندا) والثانية عند جزائر كناريا (مقابل المغرب الاقصى غرباً) والثالثة عند الراس الاخضر (غرب افريقية الاقصى) واسم هذا المثلث بحر سرجاسو ووجه الغرابة فيهِ انهُ مغطى بنبات اصفر مخضرّ يتكون منهُ طبقة سميكة لا تستطيع السفن اختراقها (مثل السدّ في اعالي النيل) فلذلك تتجنبها ما امكن لانها تعوقها في مسيرها . وقد رأَى كولمبس هذا البحر عند سفرهِ من اسبانيا غرباً لاكتشاف اميركا وقال في وصفهِ انهُ اشبه شيءٍ "بمرج متموّج" منبسط امام العين بحيث لا تدرك مداهُ

وفي السنة الماضية ركب البرنس البرت ده موناكو يختهُ وخرج قاصداً هذا البحر للتفرج

على غرائبهِ والبحث عما فيهِ من الحيوانات ودرس احوال الجوّ فوقهُ . فغادر يختهُ مرسيليا في ٢٠ يوليو وعاد اليها في ٢٤ سبتمبر اي بعد غياب شهرين واربعة ايام ونشر حديثاً خلاصة ابحاثهِ فاذا فيها ما يأتي

قاس عمق البحر في ١١٨ موضعاً فكان اعظم عمق قاسهُ ٥٥٨٠ متراً او ١٨٣٠٠ قدم واخذ منهُ ٢٨ عيّنة من الماء . وطرح شبكتهُ مراراً فصاد بها انواعاً غريبة من الحيوانات البحرية كثير منها غير معروف ووصفها يملأُ كتاباً كبيراً . وغاص رجالهُ الى عمق ١٧٧١٢ قدماً بالغواصات وبينما كان اليخت على بعد ٨٤٠ ميلاً من اقرب ارض وقع عليهِ خمسة من طائر السنونو الاميركي مما يدلُّ على قدرة هذا الطائر على الطيران وامعانهِ فيهِ . ورأى الركاب قوس قزح قمرية مزدوجة فصورها المصوّر المرافق للبرنس ملونة

تشريح الحيوانات حيّة

عيّن ملك الانكليز لجنة من كبار العلماء والاطباء والضباط للنظر في مسألة عمل التجارب العلمية في الحيوانات الحية سواء كان ذلك بتشريحها او بواسطة اخرى . ولدرس القانون المتعلق بذلك وابداء آرائهم فيهِ وفي ما اذا كانوا يستصوبون ادخال تغيير عليهِ . وعسى ان يفضي درسهم الى الغائهِ تماماً لان العلماء الذين يجربون التجارب العلمية في الحيوانات الحية اشد رأفة بها مما هي بعضها ببعض ولان الحيوانات لا تتألم الماً شديداً مثلنا او لا تتألم مطلقاً . والتجارب العلميَّة التي تجرى فيها تعود على الناس بنفع عميم كما ثبت مما أُجري فيها من التجارب حتى الآن

سباق بالبلون

عيّن يوم ٣٠ سبتمبر الماضي لاقامة سباق بالبلون يشترك فيهِ ١٦ بلوناً من انكلترا وفرنسا والمانيا واميركا وايطاليا والبلجيك واسبانيا . ويبتدئ السباق من ساحة الكنكورد في باريس . وجائزتهُ كأس ثمنها ٥٠٠ جنيه تعطى للبلاد التي يكون السابق منها و ٥٠٠ جنيه تعطى للسابق نفسهِ وقد تبرَّع بالجائزة المستر غردون بنت المشهور صاحب جريدة نيويورك هرالد وتكون لمن يقطع اطول مسافة قطعت حتى الآن

مرض النوم

تنوي الحكومة الفرنسوية ارسال بعثة علمية في اكتوبر الحالي الى مدينة برازاڤيل في ولاية الكنغو الفرنسوية لدرس مرض النوم. وستكون البعثة بقيادة الماجور مارتن من القسم الطبي في الجيش الفرنسوي

فهرس الجزء العاشر من المجلد الحادي والثلاثين

٧٩٣ قبل الولادة وبعد الموت (مصوَّرة)
٧٩٧ مفاخر البطالسة (مصوَّرة)
٨٠١ العاب الحيوانات وحيَلها
٨٠٦ منتخبات من خواطر مركوس اوريليوس . للدكتور يوحنا ورتبات
٨١٢ التلغراف اللاسلكي
٨١٥ حقوق الام . لسامي افندي جريديني المحامي
٨١٨ علم الاخلاق
٨٢٤ العلم في ربع قرن
٨٣١ فلسفة اليونان في عهد الرومان . لأسعد افندي داغر
٨٣٤ المناعة في السلّ
٨٤٠ نوادر المعارك
٨٤٣ سباق الخيل والرهان

٨٤٦ باب تدبير المنزل ✲ النساء والسياسة . تولستوي والنساء . مسألة الخادمات . المرأة الاميركية في المنزل . الاجسام الغريبة في الحنجرة . الاجسام الغريبة في الاذن . الاجسام الغريبة في الأنف . الاجسام الغريبة في العين . الاجزاخانة في المنزل
٨٥١ باب الزراعة ✲ البلدان الزراعية . القطن الاميركي . انتقاء بذرة القطن . موسم القطن . التعليم الزراعي العمومي
٨٥٧ باب الصناعة ✲ قطرنة الطرق . امنك صناعي . اختراع مسواك
٨٥٩ باب المراسلة والمناظرة ✲ نقد الشعر . سعادة الدنيا . قواعد للمسلولين
٨٦٤ باب المسائل ✲ مستحلب سكوت . المزاج العصبي والسمن . اعراض السلّ . الوقاية منهُ . تخفيف وطأتهِ . الولع بخدمة الحكومة . كتابان . مجلة للتعليم . الولايات الهندية الخارجة عن حكم الانكليز . عدد المسلمين في الهند . عدد اصحاب الاديان المختلفة
٨٦٧ باب الاخبار العلمية ✲ وفيهِ ١٠ نبذ

رواية امير لبنان ملحقة بالمقتطف